جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

الاتجاهُ السَّاخِرُ في مقالاتِ أحمد حسَن الزَّيَّات(ت١٩٦٨م) فـي مَجَلَّة الرِّسَالة دراسةٌ موضوعيةٌ فنيةٌ

The satirical trend in Ahmed Hassan al-Zayyat's articles in Al-Risala - a technical thematic study.

إعداد

د. عاصم عبد ربه محمد محمود

مدرس الأدب والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، جامعة الأزهر الشريف، قنا، مصر.

(العـدد الثالـث والأربعـون)
(الإصـدار الثانـي-مايـو)
(الجـزء الرابـع (١٤٤٥هـ /٢٠٢٤م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٤/٦٢٧١م

الاتجاه الساخر في مقالات أحمد حسن الزيات في مجلة الرسالة ـ دراسة موضوعية فنية

عاصم عبد ربه محمد محمود

قسم الأدب والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، جامعة الأزهر الشريف، قنا، مصر.

البريد الإلكتروني: *AsemAbdraboo.2341@azhar.edu.eg*

الملخص

يُعَدُّ فنُّ المقالة من الفنون النثرية التي عرفت طريقها إلى الأدب العربي منذ بداية القرن التاسع عشر ؛ حيث ظهر ذلك اللون في جريدة الوقائع المصرية باللغة التركية أولًا ، ثم باللغة العربية ، فكان فن المقالة ميدانًا تَبَارَى فيه كبارُ الأدباء والكتاب من مختلف البلدان والطبقات ، وما أنْ بزغ فجرُ القرن العشرين حتى أصبح ذلك الفنُّ محلَّ اهتمام الخاصة والعامة ، فشَعَّ ضَوْؤه على يد كوكبة من الأدباء المتفننين ، من أشهرهم أحمد حسن الزيات، الذي أسس مجلة الرسالة وجعلها منبرًا يتبارى عليه عظماء الكتاب ليشع نوره ويصل إلى شتى أقطار العالم العربي، وكان الزيات فارسَ تلك المجلة وقائدَها، فتنوعت مقالاته بين السياسة والاجتماع والدين والفن والتراجم، حيث تناول تلك الموضوعات بأسلوبٍ إصلاحيٍّ جاد صارم رصين، ولم تغب عنه تلك الجدية إلا في مواقف قليلة لجأ فيها إلى السخرية ، وبما أن الزيات ليس أديبًا ساخرًا بطبعه فقد طغى طبعُه الإصلاحي على السخرية فجاءت سخريةً نبيلةَ المقصِد، ذات هدفٍ سامٍ، خفيفة على النفس، تحمل الفكاهة الرَّزِينَة، وتُبَيِّنُ مواطنَ الخلل، وتُعْنَى بالنهوض بالوطن ،فكانت فكرة البحث تتمثل في تسليط الضوء على هذا الاتجاه عند ذلك الأديب الفذ، لنبينَ ما فيه من جمالٍ وبلاغة، ولنعرفَ مدى نجاح الكاتب في توظيف هذا الأسلوب في بلوغ المراد، فكان عنوان هذا البحث(الاتجاهُ السَّاخِرُ في مقالاتِ أحمد حسَن الزَّيَّات(ت١٩٦٨م) في مَجَلَّة الرِّسَالة دراسة موضوعية فنية)،

اشتمل على مقدمة فيها أسباب اختيار الموضوع ، والهدف من البحث ، ومنهجه ، والدراسات السابقة ، وتمهيد فيه تعريف السخرية لغة واصطلاحًا ، والعلاقة بينها وبين الفكاهة ، ونبذة مختصرة عن حياة الزيات ، ثم الفصل الأول : (الدراسة الموضوعية) ، وفيه ثلاثة مباحث ،الأول: السخرية في مقالات الزيات السياسية ، والثاني : السخرية في مقالات الزيات الدينية ، والثالث : السخرية في مقالات الزيات الاجتماعية ، ثم الفصل الثاني : (الدراسة الفنية) ، وفيه مبحثان ، الأول : الأسلوب، ويشمل (المعجم اللفظي ـ العبارات والتراكيب ـ الصورة) ، والثاني : المضمون ، ويشمل (الأفكار ـ التجربة الشعورية) ، ثم الخاتمة وفيها نتائج البحث .

الكلمات المفتاحية: الاتجاه الساخر، الزيات، مجلة الرسالة..

The satirical trend in Ahmed Hassan al-Zayyat's articles in Al-Risala - a technical thematic study.

Asem Abd Rabbo Mohammed Mahmoud.

Department of Literature and Criticism، Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys، Al-Azhar University، Qena، Egypt.

Email: *AsemAbdraboo.2341@azhar.edu.eg*

Abstract:

Abstract: The art of the article is one of the prose arts that has known its way to Arabic literature since the beginning of the nineteenth century، as this colour appeared in the Egyptian newspaper Al-Waqa'iya in Turkish first، then in Arabic، so the art of the article was a field in which the great scholars and writers from different countries and classes competed، and as soon as the dawn of the twentieth century dawned until this art became the object of private and public interest، its light shone by a group of distinguished writers، the most famous of whom is Ahmed Hassan al-Zayyat، who founded the magazine Al-Risala and made it a platform for great writers to compete on it to shine its light and reach the various countries of the Arab world .Al-Zayyat was the knight and leader of that magazine، and his articles varied between politics، society، religion، art and biographies، as he dealt with these topics in a serious، rigorous and sober reformist style، and this seriousness was not absent except in a few situations where he resorted to sarcasm، as his reformist nature overshadowed the sarcasm، so it came So it was only fair to shed light on this trend in this unique writer، to show its beauty and eloquence، and to know the extent of the writer's success in employing this method in order to achieve the desired result.

Keywords: *Al-Zayyat، Al-Risala Magazine، satirical trend.*

مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده، ورضي الله عن آل بيته وأصحابه والتابعين وبعد.

تعد السخريةُ من الفنون التعبيرية الشائعة لدى العديد من الكتاب ؛ حيث اتخذها كثيرون وسيلةً لكشف الواقع ، وهي في الوقت ذاته جُنَّةٌ يُتَّقَى بها ، فهي كقناعٍ يلبسه الأديب ليعبر عما يريد دون مؤاخذة ، وعلى الرغم من أن جُلَّ الاهتمامِ في العصور كلها منصرفٌ إلى الشعر إلا أن الفنون النثرية – وفي مقدمتها المقالة – قد شقت طريقها بقوة ، وأدت دورها في براعة ، وكان من رواد ذلك الفن أحمد حسن الزيات ، الذي عاش غالبَ حياته في النصف الأول من القرن العشرين الذي شهد نبوغَ وفرة من الأدباء والشعراء في شتى أقطار الوطن العربي ، فكان نجمًا بكتاباته ، وعلمًا بمقالاته ، ومدرسةً فريدة بنثره ، ورغبةً منه في إثراء الحياة الأدبية قام بتأسيس مجلة الرسالة التي ظلت تشرق في سماء العالم العربي من سنة ١٩٣٣م حتى سنة ١٩٥٣م ،كان الزياتُ نجمَها الأول ، فلم تَغِبْ مقالاتُه عنها حتى احْتَجَبَتْ، فكتب في الدين والسياسة والاجتماع والبلاغة والتاريخ والتراجم ، متخذًا من الأسلوب الجاد والصرامة سبيلًا ، ولم يحِدْ عن هذا السبيل إلا نادرًا ، وذلك النادر يتمثل في اتخاذه السخرية والفكاهة بديلًا للجدية والصرامة ، فأنشأ في مقالاته في مجلة الرسالة اتجاهًا ساخرًا ذا طابع خاصٍّ به قلَّ أن يوجدَ عند غيره ، طابع يُلْبِسُ السخريةَ رداء النقد والرغبة في الإصلاح واقتراح الحلول ، فاستحق أن يُسَلَّط عليه الضوء ،وأن يشار إليه بالبنان ، فكان هذا البحث الذي عنوانه(الاتجاه الساخر في مقالات أحمد حسن الزيات(ت١٩٦٨م) في مجلة الرسالة ـ دراسة موضوعية فنية).

ـ هدف البحث:

يتمثل هدف البحث في تسليط الضوء على الأسلوب الساخر عند الزيات في مقالاته في مجلة الرسالة، ذلك الاتجاه الذي لم تتطرق إليه دراسةٌ مستقلة من قبل، مع بيان أهدافه من وراء تلك السخرية ، وخصائص ذلك الاتجاه عنده ، وما يختلف فيه عن غيره ، وكيف تجلت عبقريةُ الزيات في ذلك الأسلوب ، وكيف كان ذلك تعبيرًا واقعيًّا عن نفسية الزيات.

ـ أسباب اختيار الموضوع:

لعل أهم ما دفعني إلى اختيار ذلك الموضوع افتقار ذلك الاتجاه إلى من يكشف عنه اللثام ، فالاتجاه الساخر عند الزيات لاقى من الباحثين تجاهلًا ، ومن الدارسين انصرافًا ، رغم كونه من أهم أسلحة الزيات في مقالاته ، زد على ذلك ما امتاز به الزيات في سخريته عن بقية معاصريه من الكتاب ، وتتمثل تلك الميزة في النفاذ إلى مكمن الداء ، ومعالجة الخطأ ، واقتراح الحل ، لذا يمكنني أن أصف سخرية الزيات بعبارة (السخرية الشريفة)، نظرًا لنبل المقصد والغاية.

ـ منهج البحث :

اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي ؛ فالمنهج الوصفي من أهم مناهج البحث في الدراسات الأدبية، مع الاستعانة بمنهج التحليل الفني.

ـ الدراسات السابقة:

مثَّلَ أدب الزيات مادة خصبة للباحثين ، ولا سيما مقالاته في مجلة الرسالة ، فصُنِّفَت فيه كتب ، وكُتِبَت فيه بحوث ، ونُشِرت عنه مقالات ، ولكن مع ذلك كله لم أقف على أي دراسة مستقلة تناولت الاتجاه الساخر عند الزيات.

ويشتمل هذا البحث على مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها الحديث عن أسباب اختيار الموضوع، والهدف من البحث، ومنهجه، والدراسات السابقة.

التمهيد: وفيه الحديث عن تعريف السخرية لغة واصطلاحًا، والعلاقة بينها وبين الفكاهة، ونبذة مختصرة عن حياة الزيات، والسخرية في مقالاته في مجلة الرسالة.

الفصل الأول: (الدراسة الموضوعية)، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: السخرية في مقالات الزيات السياسية.

المبحث الثاني: السخرية في مقالات الزيات الدينية.

المبحث الثالث: السخرية في مقالات الزيات الاجتماعية.

الفصل الثاني: (الدراسة الفنية)، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأسلوب، ويشمل (المعجم اللفظي ـ العبارات والتراكيب ـ الصورة).

المبحث الثاني: المضمون، ويشمل (الأفكار ـ التجربة الشعورية).

الخاتمة: وفيها نتائج البحث.

والحمد لله أولًا وآخرًا ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

التمهيد :

المحور الأول: السخرية في اللغة والاصطلاح:

السخرية في اللغة: تكاد المعاني المتعلقة بالسخرية في اللغة تنحصر في الاستحقار والهزء والفكاهة ، فقد قال عنها ابن فارس في معجم المقاييس :"... أَصْلٌ مُطَّرِدٌ يدل على احتقار واستذلال .....، وقال الأخفش : سخرت منه وبه ، وضحكت منه وضحكت به، وهَزِئْتُ منه وهزئت به ، كلٌّ يُقال"(١) ، وجاء في لسان العرب " سخر منه وبه ..... هَزِئَ به"(٢) ، وجاء في المعجم الوسيط " السخرية: الهُزْءُ، والمَسْخَرَةُ : ما يجلب السخرية" (٣).

وهو المعنى نفسه الذي استعمله القرآن الكريم في إطار النهي عن السخرية ، حيث ربط القرآن الكريم بين السخرية وبين الاستهزاء فقال :" وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ "[هود ٣٨]، كما جاء في السنة المطهرة بالمعنى نفسه ، حيث يقول صلى الله عليه وسلم في الحديث على لسان العبد :" لِمَ تَسْخَرُ بي وأنتَ المَلِك؟"(٤) مما يدل على أن معنى السخرية لا يخرج عن الاستهزاء والاستحقار والتندر والتهكم.

---

(١) معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ١٤٤/٣، تحقيق عبد السلام هارون، ط : دار الفكر، بيروت ١٩٧٩م.

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم، جمال الدين بن منظور، مادة: سخر ٣٥٢/٤، ط : دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ .

(٣) المعجم الوسيط ٤٣١/١، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط : دار الدعوة ، القاهرة.

(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه ٣٨٨/٥ رقم ٤٣٣٩ ط: دار الرسالة العلمية، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م ، وقال شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح.

السخرية في الاصطلاح:

يرى إميل يعقوب أن السخرية في الأدب هي " اعتماد ألوان الهُزْءِ وصنوف الدعابة والهزل والمزاح في مقابل الجدية والتَّزَمُّت "[1]، وجاء في معجم المصطلحات العربية أن السخرية هي" طريقة في الكلام يعبر بها الشخص عن عكس ما يقصده بالفعل " [2]، ويمكن القولُ: إنَّ عمادَ السخرية قائمٌ على التعبير غير المباشر، والحيدة عن التصريح.

والاتجاه الساخر تيار بارز في مختلف آداب العالم، وهو على اختلاف ألوانه وصوره يتميز بالطابع النقدي اللاذع، والحَقُّ أنه – في غالبه – اتجاهٌ جادٌّ وليس ساخرًا ؛ لأن غالب الأدباء إنما يسخر من واقع فِعْلي ، فهو حينئذ يتكلم عن أمر جاد ولكنه يكسوه ثوب السخرية لغرض في نفسه ، وذلك غيرُ مُسْتَطَاعٍ لكل أحد.

المحور الثاني: العلاقة بين الفكاهة والسخرية :

تشترك السخرية مع الفكاهة في أمر وتختلفان في آخر، فتشتركان في إضفاء المرح والضحك والترفيه، وتختلفان في أن الفكاهة لا تهدف إلى غير ذلك، بينما السخرية – غالبًا – تُتَّخذ غطاءً أو وسيلة للنقد والتغيير وفضح المساوئ، على أنه من الباحثين من لا يفرق بين السخرية وبين سائر ألوان الترفيه الأخرى كالتهكم والفكاهة والهجاء، حيث عَرَّف السخرية بقوله:" هي طريقة في التهكم المرير والتندر،

---

(١) المعجم المفصل في اللغة والأدب ، إميل بديع يعقوب وميشال عاصي ص٧١١ ط:دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان .

(٢) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة ، وكامل المهندس ، ص١٩٨ ، الطبعة الثانية ١٩٨٤م .

أو الهجاء الذي يطغى فيه المعنى بعكس ما يظنه الإنسان، وربما كانت أعظم صور البلاغة عنفًا وإخافة وفتكًا"[١].

المحور الثالث: نبذة مختصرة عن حياة الزيات:

(أ)- مولده ونشأته:

ولد أحمد حسن الزيات في قرية (كفر دَمِيرَة) إحدى قرى المنصورة بمصر في الثاني من إبريل عام ١٨٨٥م ، ونشأ في أسرة ريفية تخطت الفقر ولم تصل إلى الغنى، وكان والده الشيخ (حسن) فلاحًا يعمل بالأجرة اليومية في أرضه التي ليس له منها غيرُ أُجْرَتِه، وكانت معرفة الشيخ حسن بالقراءة والكتابة دافعًا له لتعليم ابنه، فألحقه بكتاب القرية ليحفظ الزيات القرآن ويجيد القراءة والكتابة في سن العاشرة [٢]، ثم انتقل إلى الأزهر الشريف وهو بين الثانية عشرة والثالثة عشرة من عمره، فمكث فيه عشر سنوات يتنقل بين حلقات الشيوخ ومجالس العلماء ، يستمع إلى دروس التفسير والحديث والفقه والنحو والصرف وغيرها من العلوم النقلية والعقلية التي تحويها مناهج الأزهر، ثم بدأ البحث عن إرضاء ميوله الأدبية التي نبتت جذورها الأولى في القرية، فلزم الزيات الشيخ محمد عبده (ت١٣٢٣هـ ـ ١٩٠٥م) والشيخ سيد المَرْصَفِي(ت١٣٤٩هـ ـ ١٩٣١م)، فكان يتنقل من حلقة العلم إلى درس الأدب، ومن درس الأدب إلى مجلس الشعر، ومن مجلس الشعر إلى دار الكتب ، ومن دار الكتب إلى الجامعة المصرية القديمة، وفي عام ١٩٠٧م حصل الزيات على وظيفة مدرس في مدرسة (الخُرُنْفِش) الفرنسية ، فأفاد من اللغة الفرنسية ، ثم انتقل لتدريس

---

(١) السخرية والفكاهة في النثر العباسي ، نزار عبد الله خليل ص١٦ ،ط : دار حامد ، الأردن ، الطبعة الأولى ٢٠١٢ م.

(٢) ينظر: أحمد حسن الزيات صورة موجزة من حياته وأدبه ، د. محمد جاد البنا ، ص٣٢، طبعة شركة الدقهلية الوطنية للطباعة والنشر ، المنصورة ، مصر ،الطبعة الأولى ١٤١٣/١٩٩٢هـ .

طلاب البكالوريا بالمدرسة الإعدادية الثانوية ، وقد أثرت هذه المدرسة في حياته؛ حيث جمعته بصفوة الكتّاب كأحمد زكي باشا (١٣٥٣هـ ـ١٩٣٤م)، والمازني (١٣٦٨هـ-١٩٤٩م) والعقاد (١٣٨٣هـ-١٩٦٤م)،ومحمد فريد أبي حديد (١٣٨٧هـ-١٩٦٧م) وغيرهم، وظل مدرسًا فيها حتى عام ١٩٢٢م ، وفي العام نفسه اختير الزيات لرئاسة القسم العربي في الجامعة الأمريكية ، وسرعان ما ذاع صيته وسارت له بها سمعة طيبة(١).

وقد كانت للزيات رحلات كثيرة إلى شتى أقطار العالم العربي، وحينما عاد من رحلته إلى العراق سنة ١٩٣٣م عرض الزيات على صديقه طه حسين إنشاء مجلة أدبية تملأ فراغ الساحة الصحفية المشغولة بغثاء المجلات الهزلية التي تحتل السوق، فاستبعد طه حسين نجاح الفكرة واكتفى بالمشاركة بكتابة المقالات ، وأبى الزيات إلا أن يخوض التجربة ، فظهرت الرسالة في إصدارها الأول بجهد الزيات الذهني والمادي ؛حيث تكفل بتكاليف الإصدار ، وجرّد قلمه لمراجعة محتوى الرسالة وتعديل ما يراه في حاجة إلى التعديل ، وتقبلها الناس قبولًا حسنًا ، فلم تكد الطبعة الأولى تنفد حتى توالت الطبعات ، وصارت الرسالة مجلة الطبقة الراقية من المثقفين وصفوة الكتاب ، وأصبحت المشاركةُ فيها حلمَ الناشئة ومُبْتَغَى الرواد ، لا في مصر وحدها بل في أكثر البلاد العربية كالشام والسودان والعراق والجزيرة والمغرب العربي ، وظلت بمثابة الجامعة يتخرج فيها أرباب البلاغة والأدب عشرين سنة ، من يناير ١٩٣٣م وحتى فبراير ١٩٥٣م (٢).

---

(١) ينظر: قمم أدبية، د. نعمات أحمد فؤاد، ص٢٠١ طبعة عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٨٤م، و أحمد حسن الزيات صورة موجزة من حياته وأدبه، ص٤٠.

(٢) ينظر: الزيات والرسالة ، محمد سيد محمد، ص٥٨، دار الرفاعي للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ووحي الرسالة أحمد حسن الزيات ١٠٥/٤ ـ ١٠٩ ط : دار روائع الكتب ، تركيا ٢٠٢٢م.

وبمرور الزمن دارت رحى الحرب العالمية الثانية ، فارتفعت الأسعار، وضاقت الأرزاق، واهتم الناس بالنجاة لا بالثقافة، وتوقفت إعانات الحكومة، وقلت إعلانات الشركات، فهبط التوزيع وزادت النفقات، فأعلن الزيات احتجاب الرسالة في مقال نشره في الأهرام صباح الثالث والعشرين من فبراير عام ١٩٥٣م[١].

(ب) الزيات الشخصية وعوامل التكوين الفكري الثقافي:

- شخصيته:

إن تلك النظرة الموجزة لهذه الشخصية ذات الأدب الرفيع لتعطينا صورة واقعية لما حفلت به حياته من الجد، وخلاصة سريعة لسعي حثيث ونتاج وافر، كان لصاحبها خلالها منهجٌ قويم، ومذهب واضح، سار عليه وانتهى إليه، وتَرَسَّمه في حياته، بل وعبر عنه في كتاباته[٢]، فتمثلت شخصيته في الجدية والنظرة الناقدة والتطلع الدائم إلى التغيير والإصلاح، مع طبعٍ غيرِ مُتَنَكِّرٍ لأصله وجذوره الريفية، فكان بحق مرجعًا ثقافيًّا حيًّا، وقد شهد له بمنهجه القويم كثير ممن عرفه من شيوخه وزملائه وتلاميذه.

- عوامل تكوينه الفكري والأدبي:

١- القرآن الكريم:

حفظ الزيات القرآن الكريم في كُتَّاب القرية عن ظهر قلب في سن العاشرة، وحفظ بعض القراءات قبل أن يتم الثالثة عشرة، وقد ظهر أثر ذلك في منهجه وفكره وأسلوبه، فاقتبس منه وقلد أسلوبه واستعمل معانيه[٣].

---

(١) ينظر: مقال (الرسالة تحتجب) وحي الرسالة، ١٠٥/٤، وقمم أدبية ص١٨٣.

(٢) وحي الرسالة ١٢٢/٤.

(٣) ينظر: أحمد حسن الزيات صورة موجزة من حياته وأدبه، د. محمد جاد البنا، طبعة شركة الدقهلية الوطنية للطباعة والنشر، المنصورة ، مصر ، ط/١، سنة ١٤١٣/١٩٩٢هـ ، ص٣٢، وفي ضوء الرسالة، لأحمد حسن الزيات، دار الثقافة ، ط/١ ، ١٩٦٣م ، ص ١-٥.

٢- النشأة الريفية والبيئة الأسرية والمكانية والزمانية:

فأسرته كانت محبة للعلم، وقد شجعه والده وندبه إلى التعلم والارتحال في سبيل طلبه، أما أثر البيئة المكانية فقد تحدث الزيات عن أثر طبيعة المنصورة فيه فقال: "وللمنصوريين والدقهليين على الجملة صباحةٌ ووَدَاعَةٌ، يزيدهما الخريف حلاوة وشاعرية، وإنَّ بينَهم وبينَ طبيعتهم المشرقةِ الجميلةِ من التآلف والتجاوب ما لا تجده بين الناس والطبيعة في مكانٍ آخر[١]" [٢]، فكان لبيئته المكانية المتمثلة في القرية ثم الأزهر ثم محيطه الأدبي في مجلة الرسالة، ولبيئته الزمانية التي تمثلت في عصره المفعم بالقمم الأدبية أثرٌ كبيرٌ في ثقافته.

٣- رحلاته:

كانت رحلات الزيات من أهم عوامل تكوين ثقافته وشخصيته؛ حيث أتيح له التعامل مع ثقافات الشعوب التي التقاها، والاطلاع على فكرهم، فقد سافر إلى السعودية والعراق وفرنسا ولبنان، وغيرها من البلدان[٣].

٤- التحصيل الذاتي:

وذلك أهم عامل من عوامل ثقافته، حيث عكف الزيات على الاطلاع والقراءة في شتى علوم العربية، فمن الأدباء العرب تأثر الزيات بابن المقفع(ت١٤٣هـ)

---

(١) وحي الرسالة ٢/٢٣٠.

(٢) القرية في أدب أحمد حسن الزيات، دراسة موضوعية وفنية، علي محمد يحيى، ص٤٠، رسالة ماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٠هـ.

(٣) ينظر: أضواء جديدة على حياة الزيات من رسائله الخاصة، مقالة للدكتور: محمد جاد البنا، مجلة مصر، العدد الأول، أكتوبر ١٩٧٤م، ص ٢٦، وأدب الزيات في العراق، جمال الدين الألوسي، في مواضع متفرقة من الكتاب، مكتبة المثنى، بغداد، الطبعة الأولى ١٩٧١م/١٣٩١هـ.

والجاحظ(ت٢٥٥هـ) وابن العميد(ت٣٦٦هـ) وعبد القاهر الجرجاني(ت٤٢٩هـ)، ومحمد عبده(ت١٩٠٥م) والمنفلوطي(ت١٩٣٤م) وسيد المرصفي (ت١٩٣٥م)[١]، ومن غير العرب تأثر بجُوته (ت١٨٣٢م) وفيكتور هوجو (ت١٨٨٥م) وغيرهم [٢].

وقد أثمرت تلك العوامل فخلقت شخصيةً مثقفةً واسعة الإدراك ، فأخرج لنا الزيات مجموعة بديعةً من المؤلفات والمترجمات، منها (تاريخ الأدب العربي) و (وحي الرسالة) و(دفاع عن البلاغة) و (في أصول الأدب) و (في ضوء الرسالة)، بالإضافة إلى ترجمة رواية (روفائيل) للأديب الفرنسي (لامارتين)، و(آلام فارتر) للأديب المشهور (جوته)[٣].

(ج) وفاته :

كانت وفاة الزيات في السادس عشر من ربيع الأول سنة ١٣٨٨هـ، الموافق للثاني عشر من يونيه عام ١٩٦٨م وقد بلغ الثالثة والثمانين من العمر[٤].

المحور الرابع: حول السخرية في مقالات الزيات في مجلة الرسالة:

بإمعان النظر في مقالات الزيات في مجلة الرسالة يتبين أن الزيات لم يكن كاتبًا ساخرًا بطبعه، ولا يمكن أن نعده من الكتاب الساخرين؛ فالسخرية في أدبه ليست أسلوبًا معتادًا ولا ملحوظًا، بل هي ومضات تروح وتجيء حسب ما يَعِنُّ له، ولم أجد للزيات مقالًا كاملًا في للسخرية؛ بل هي عبارات متناثرة خلال مقالاته، كما لا يمكن

---

(١) دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، د. محمد عبدالمنعم خفاجي ، ٤/ ٩١، ط: دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

(٢) في ضوء الرسالة ، ص (هـ) .

(٣) القرية في أدب أحمد حسن الزيات ص٣٥ ـ ٣٧.

(٤) أحمد حسن الزيات صورة موجزة من حياته وأدبه ، ص ٦٢-٦٣.

لبصير بالأدب إلا أن يلحظ تلك النبرة الحزينة التي تكسو سخرية الزيات، وتلك النزعة النقدية البنّاءة التي يهدف إليها، فهو يوظف السخرية لكشف المساوئ السياسية والدينية والاجتماعية، ويحاول من خلالها توجيه النظر إلى مكمن المشكلة، وإلى سبيل الخلاص.

الفصل الأول

الدراسة الموضوعية:

المبحث الأول: السخرية في مقالات الزيات السياسية.

اعتاد الزيات في مقالاته أسلوبَ الإسقاط والتلميح من بعيد، فتارةً يتكلم عن مظهرٍ اجتماعيٍّ لِيَنْقُدَ به قرارًا سياسيًّا، وتارة يقص قصةَ عِشْقٍ ليحارب بها ظاهرةً اجتماعية، وكانت الحياة السياسية في عصر الزيات مشحونة بالمفارقات؛ فالطَّبَقِيَّةُ بلغت أَوْجَها، فالأغنياء في بحرٍ من الترفِ لا ساحلَ له، والفقراء في جُبٍّ من العدمِ لا قعر له، والطبقة الحاكمة لا تعرف عن الشعب إلا ما يُلقى على أسماعها ممن يدخل عليها من رجال الدولة، وقد أثار ذلك عواطف الزيات فجعل ينقد هذا ويلوم ذاك، إن لم يكن تصريحًا فبالتلميح، ففي مقال (جمعية نهضة القرى)[1] يصف الزيات ما تقوم به تلك الجمعية من محاولة للنهضة بالقرى المصرية، وما تعانيه من محاولة القيام بالأعمال التي من المفترض أن تقوم بها الحكومة من القضاء على الأمية والمرض والعادات السيئة، ومن خلال عمل تلك الجمعية يصف لنا الزيات بيوتَ إحدى القرى بما فيها من امتزاجٍ معروفٍ بين الناس وطيورهم وحيواناتهم، فيقول عن أهل القرية متخذًا من ذلك سبيلًا لنقد الحكومة:" ثم جَمَعُوا بين قَاعَةِ الإنسان وزريبةِ الحيوان في فناءٍ واحد، فالحديثُ يمْتَزِجُ بالخُوَار، والمَضْغُ يشتبه بالاجْتِرَار، والرجلُ والثور، والمرأة والبقرة، والطفل والعجل، يعيشون في شيوعيةٍ عجزَ عن تحقيقِ حِلْمِهَا الرُّوس".

وهنا يصور الزيات مشهدًا يمزج فيه بين السخرية والحزن؛ فالسخرية تطل من المشهد باستحياء خلف ستار من الحزن ألقى بكلكله على المُتَصَوِّر لذلك المشهد لِمَا

---

(١) العدد ٩٤ – بتاريخ: ٢٢ /٤ / ١٩٣٥م .

يشعر به من فقرِ هؤلاء الناس وضيقِ حالهم وضآلةِ ديارهم، الذي دفعهم إلى العيش هكذا، فَضِيقُ الدار لا يسمح بمكانٍ مُسْتَقِلٍّ للدواجن، ولا زريبةٍ نائية للحيوانات، فلماذا لا يعيش ربُّ المال مع مالِه في مكان واحد؟!، وبما أن ذلك قد تحقق فقد تحولت الأصوات إلى معزوفةٍ مُضْطَرِبَةٍ عشوائيةٍ من الأصوات المتداخلة؛ فقد يقول الرجلُ كلمةً فيُكْمِلها الثورُ بخُوَارِه، أو الديكُ بصياحه، أو البطة بزَبْطِها[1]، فلا يدري السامعُ إلى أيٍّ منهم تَنْتَمِي الكلمة، وقد يضطرُّ السامع إلى استعادة الحديث لأنَّ الخوارَ قد قَطَّعَ نصفَه فهَدَمَ معناه، بل قد يُخْرِجُ هذا الامتزاجُ تعبيرًا لغويًّا غيرَ معهود في لغة العرب، ولا سبيلَ إلى فهمه إلا بالبحث في معجم الزَّرَائِب.

أما عند الأكل فَحَدِّث ولا حرج، صوتُ المضغ مختلطٌ بصوت اجترارِ الحيوانات، وقد غلبَ الاجترارُ المضغَ لكثرتِه وطولِه وتنوع المُجْتَرِّين، فتَأَثَّرَ المَاضِغُ بالمُجْتَرِّ فقَلَّدَه، فتشَابَه الصوتان فلا تكاد تُفَرِّقُ بينهما أذن، أو تَلْمَحُ الفارقَ بين حركتيهما عين، ناهِيك عن الاشتراك في الطعام وإن اختلفَت طريقتُه ، فالفول طعامٌ لكليهما مع اختلاف طريقةِ إعداده، والبصلُ وأوراقُ الخَسِّ لهما دون اختلاف، فلا يفترقان إلا في نادرٍ يَصْلُحُ لأحدهما دون الآخر.

ثم يخرج الزيات من هذا المشهد بنتيجة ساخرة مضحكة يخلطها بفكرةٍ سياسية كانت سائدةً آنذاك، ففي عصر الزيات كانت شُيُوعِية روسيا[2] في ذِرْوَتها، ومخَايِلُ

---

(١) الزَّبْطُ، بالفَتْح: صِياح البَطّةِ (التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني ١٣١/٤ تحقيق: عبد العليم الطحاوي، راجعه عبد الحميد حسن، ط: دار الكتب ، القاهرة ١٩٧٤م).

(٢) الشيوعية: مذهب اقتصادي واجتماعي قائم على جعل وسائل الإنتاج مشتركة، وإشاعة الملكية وتأميمها لصالح عموم أفراد المجتمع، وذلك بهدف القضاء على التفاوت بين الطبقات، وقد ظهر ذلك الاتجاه في نهايات القرن التاسع عشر على يد المفكر الألماني كارل ماركس، ثم لما قامت الثورة البلشفية في روسيا سنة ١٩١٧م ترسخت تلك الفكرة حتى أصبحت روسيا هي ←←←

تَأَثُّر الناس بها قد بدأت تلوح في أفق مصر وغيرها من بلاد الشرق، فَشَبَّه الزيات ذلك الاختلاط بين الناس والحيوانات والطيور بتلك الفكرة في أهدافها وطرائقها، فأصبح كلٌّ من الرجل والعجلِ صورةً للآخر، صورةً في الأكل ونوعه وطريقته ومكانه، وصورةً في مكان الجلوس والنوم والاشتراك حتى في الأنفاس، وأصبحت المرأة والبقرة كذلك، ولا تفترق صورتاهما عن الصورة السابقة إلا في ضآلة الحجم وطريقة النطق وعدد الأرجل، وهذا الاختلاط العجيب لا يُنْتِجُ لنا إلا طفلًا كَعِجْلٍ وعِجلًا كطفل، كلاهما صغير الحجم، وكلاهما ينط ويلعب ويلهو هنا وهناك، وكلاهما يصيح على الدوام، بل إنه قد نشأت بينهما صداقة _ وإن شئتَ فقل أُخُوَّة _ تجعل الطفل يدافع عن العجل ضد والديه، وينتصر له ضد أخوته، ويبكي عليه إن مرض، وتلك الشيوعية العجيبة لا تستطيع روسيا التي هي مهد الشيوعية أن تحققها بمثل هذه المتانة، بينما تحققت في قرى مصر دون قواعد ولا سياسة ولا حزب ولا حرب.

ولا يُفَوِّت الزيات فرصةً لنقد مساوئ الحكومة وإهمالها لمنشئات الفقراء إلا وانتهزها، ولا يجد سبيلًا للفت نظر الوزراء إلى الهوة السحيقة بين اهتمام الحكومة بالفقراء واهتمامها بالأغنياء إلا سلكه، متخذًا السخرية أسلوبًا، والفكاهة جُنَّة، فقد سافر الزيات في رحلة ترفيهية إلى الأقصر في قطار (الآثار)، فساءه ما رآه في هذا القطار من تَهَالُك وقذارةٍ وانعدامٍ للخصوصية، فيقول ساخرًا :" وأنا وحدي في هذا القفص الطائر أَرْعَى نجومَ الكهرباء في سمائِه المحصورةِ الرفيعة، وأقولُ في آخر ليلةٍ من ليالي رمضانَ المحتَضَر: متى يا إلَهَ الناسِ يُصْبِح هذا الليل؟!" [(١)].

→→→

المهد الأكبر لتلك الفكرة، وقد انتقلت تلك الفكرة إلى بلاد الشرق فآمن بها كثير من السياسيين والمفكرين ودعوا الناس إليها .(ينظر : معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر ١٢٥٧/٢، ط: عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م).

(١) من مقال (إلى الأقصر) العدد ٣٠ - بتاريخ: ٢٩ /١ / ١٩٣٤م.

تلك رحلة سافر فيها الزيات إلى الأقصر، استقل فيها قطار الفقراء، ويا لها من صورة ساخرة تلك التي يرسمها الزيات، إنه قطار مُهْترئٌ مليءٌ بالثقوب يعصِفُ به البرد، ويبخره التراب، وكأنه قفص لا جدران له، بل أعوادٌ وأسياخٌ لا رابط بينها، ولا يملك ذلك القطار من المحامد إلا سرعةً فائقةً جعلته القطار (الطائر)، تلك المحمدة التي انقلبت مَذَمَّةً زادت في الألم والتعب لعدم تجهيز القطار لمثل هذه السرعة، وكان من الطبعي لمن هذا حَالُه أن يجافيَه النوم، وأن يصاحبَه الأَرَق، وأن تعادِيَه الراحة، فلم يجد مُسَلِيًا له في تلك الرحلة إلا استعارة صورة رَعْيِ النجوم التي طالما تَحَدَّثَ عنها الشعراء السابقون، ولكن هيهات هيهات، فأين النجوم وقد أغلق عليه سقفُ القطار نافذةَ السماء، وحال بينه وبين الأفق، وحجب عنه نجومَ السماء وقمرَها، فراح الزيات يُعْمِل فكرَه لمعالجة ما فيه من حال، فجعل يقنع نفسه أن مصابيحَ الكهرباء المُنْهَكَةَ المعلقةَ في سقف القطار هي النجوم، وأن السقفَ الحديديَّ الصَّدِئَ القبيحَ هو السماء، وراح يعيش جَوَّ السابقين، ويستعير أفكار الماضين، وجعل يَرْعَى النجوم الكهربائية التي بدت في السماء الحديدية.

ثم لما ضاق به الأمر، وتَبَرَّمَ بالليل الذي لا آخر له، وبالنجوم التي ينكشف قُبْحُها شيئًا فشيئًا لِبُعْدِ ما بينها وبين النجوم الحقيقية، وتلك السماء التي لا تزداد إلا سماجةً لضيق مساحتها وصدأ سحنتها الَّذَيْن يُبْعِدَانها أَيّما بُعْدٍ عن السماء الحقيقية ـ راح يتوجه إلى الله تعالى أن يكشف الضر، وأن يزيلَ الغم ، وأن يَمُنَّ عليه بطلوع الفجر فيقول:" مَتَى يا إلهَ الناس يُصْبِح هذا الليل"، وكأنه يستعير من امرئِ القيس ذلك التعبير الشهير الذي جادت به قريحتُه بعد أن ضاق به الليل لطوله فقال:

ألا أيّها اللّيلُ الطويلُ ألا انْجَلِي[1]

---

(١) شطر بيت لامرئ القيس، وتمامه: بصبحٍ وما الإصباحُ منكَ بِأَمْثَلِ (ديوان امرئ القيس، ص٤٩، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، ط : دار المعرفة – بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م).

وعندي أنَّ أَبْلَغَ الألفاظ تعبيرًا عن تلك المعاناة الضاحكة التي يرويها الزيات هو لفظ (وحدي)؛ فتلك الأحوال لم تكن لتصبح بهذه الفظاعة والهول لو كان مع الزيات من يسليه ويتجاذب معه الحديث، ولكنه وحده، ليس لأنه وحده، ولكن لأن مَن حوله إما مستغرقٌ في النوم لعدم اكتراثه بما يفكر فيه الزيات، وإما منشغلٌ بأحوال نفسه لاعتياده تلكَ الأحوال، وكلاهما بالنسبة للزيات غير موجود، ومشاركتهم له في معاناته معدومة، لذا كان وحيدًا فازدادت المعاناة.

ويصور الزيات في سخرية بؤس أهل القرية حين يرفعون مَطَالِبَهم للنائب الذي أفنوا جهدَهم في حَمْلَتِه الانتخابية، فتراهم وهم يكلمونه ضَارِعِين خوفًا من بطشه، ومتذللين رهبةً من سطوته، وغَاضِّين أصواتهم وَجَلًا من غضبه ، فلا يكلمونه إلا هَمْسًا، ولا يطالبونه إلا دعاءً وضَرَاعة؛ لأن (الباشا) لا يصلح معه إلا سبيل (التي هي أحسن)، ويصور الزيات هذا المشهد بسخرية يكسوها البؤس، فهو يرى أن طريقة" التي هي أحسن لا تساوي عجلًا في دَوَّار (الباشا)، وأهل القريةِ وبَعُوضُ (المَلَاريَا) في رأيه سواء، فلماذا يُقتل البعوضُ ويَبْقُونَ هم في الأحياء؟"[١] .

رجال السياسة لا يعرفون إلا لغة القوة، ولا ينصاعون إلا للأوامر، ولا يتحركون إلا لمصلحة، لذا كان النصح والرجاء والالتماس والرَّبْتُ على الأكتاف أهون في ميزانهم من لَقْعَةٍ بِبَعْرَة، ولم يجد الزيات مثلًا لذلك المنهج المنبطح البائس الذي لا يسمن ولا يغني من جوع إلا أن يُشَبِّهَه بالعجل الذي يُرَبَّى في حظيرة (الباشا)، فهو من مُمْتَهَنٌ يعيش بين القاذورات ، مجهولٌ لا يعرف عنه (الباشا) شيئًا، لا مَنَاصَ له ولا مهرب من مصيره الذي هو لقمة في بطن (الباشا) وأصدقائه.

---

(١) من مقال (أَكُلُّ هذا يصنع البرلمان) العدد ١٥١ – بتاريخ: ٢٥ / ٥/ ١٩٣٦م .

وإن كان الأمر كذلك فإن ذلك النصحَ صادرٌ من أشخاص لا يراهم (الباشا)، ولا يسمع كلامهم، ولا يعدّهم في طائفة البشر، بل إنه يرى ضررَهم أكبرَ من نفعهم، تمامًا كبعوض الملاريا الذي يشتكي منه القرويون ، فكلاهما بالنسبة له مُكْلِف، وكلاهما مُقْلِق ، وكلاهما له دَوِيٌّ مرتفع، ثم يُعْقِب الزيات ذلك الوصف الساخر بسؤال يطرحه الباشا في ذهنه، وهو: إذا كان هؤلاء والملاريا سواء فلماذا نَقْتُلُ البَعُوض ونترك هؤلاء ؟ أليس من العدل أن يموت الجميع حتى نرتاحَ وترتاح الأُمّة ؟.

ويَبُثُّنا الزيات نفثةً ساخنة ساخرة من صدره ينتقد فيها الحكومة على إطلاق يد الشرطة يسومون الناس خَسْفًا ، فلا رقيبَ يَلْحَظ، ولا عقابَ يُنتظَر، يتحدث الزيات بِتَنَدُّرٍ عن مأمور قسم الشرطة الذي يسير بين جنبات القرية بسوطه الذي يلهب به ظهور الناس، فيضرب هذا ويَنْخَس ذاك ، فإذا عاد دون أن تتاح له الفرصة للجلد أو النخس فعل ما هو آت ، فيقول الزيات:" فإذا عاد مِن طوافه خائبَ السَّوْط جلس أمام الدَّوَّار وأمر أن تُرَشَّ الأرضُ وأن يُلقَى في وحْلِها من جاءه في طلب حاجةٍ أو رفع مظلمة"(١).

يمزج الزيات بين مرارة الظلم وبين سخرية المشهد، وبين قبح التعالي والكبر وبين الفكاهة، فذلك المأمور المتجبر الظالم (أبو الطين) يبحث عن أي فرصةٍ ليظهر قوته، ويثير بين الناس رهبتَه، فلما فاتته الفرصةُ وتعطل سَوْطُهُ عن الجَلْد، ولسانُه عن السَّبّ، لم يجد بُدًّا من الذهاب إلى دوار العمدة لينصب عنده كَمِينًا يستدرك به ما فاته من الضرب والسب، وهو ضامنٌ أن الفرائسَ آتيةٌ لا محالة؛ فدوار العمدة ملجأ الفلاحين للشكوى، وملاذهم للطلب، وديوانهم لحل المشاكل، فأمر المأمور أن تُطَيَّن

(١) من مقال(من صور الماضي) العدد ١٥١ – بتاريخ: ٢٥ / ٠٥ / ١٩٣٦م .

الأرضُ، وأن يفرغ الماء على الطريق، فإذا جاء من يطلب حاجة كان الطين جزاءَه، والوحلُ مكافأتَه.

ولنا أن نتخيل الفلاحين المساكين وهم مقبلون على دوار العمدة لحل مشاكلهم، فيكون حل المشكلة بضعة أرطالٍ من الوحلِ توضع فوق رأسه ليشعر بثقل الحمل الذي يقوم به المأمور، فيُعَلِّمه رجالُ المأمور كيف يسبح في الطين فيكون ذلك بمثابة الرياضة له ، ويملأ له رجال المأمور رَحْلَه ترابًا لينًا ليُلَطِّف له درجة الحرارة، ويمسح رجال المأمور الأرض بملابسه لأن النظافة ربما تعرضه للحسد، فيعود المسكين وقد قضوا حاجاته كلَّها بأكثر الطرق سخرية ، فلا يفكر أحدهم إلا في الطين، فطينُ المأمور يصرفهم عن الشكوى، وطينُ الأرض يحثهم على الزرع والاجتهاد ليُثْرِي (الباشاوات).

ثم يدمج الزيات بين لومه للناس (الناخبين) الذين يتم خداعُهم بالطريقة نفسها في كل مرة، ولومِه للنُّوَّاب الذين يكذبون الكذبةَ نفسَها في كل مرة ، ويَدسُّ بين هذين اللومين رأيَه في فكرٍ شاع في تلك الحقبة حتى صار حديثَ العالم أجمع، وهي فكرة الشيوعية، فيضع ذلك كله في قالَبٍ ساخرٍ لطيف ، حيث يتحدث الزيات عن السَّمَرِ السياسي للمساكين على (المَصْطَبَة) يشكو بعضهم لبعض آلامَهم في صورة ساخرة، سمر لا يزيد عن ثرثرةٍ تشبه مناقشات المنتمين إلى الشيوعية، فهم يظلون يثرثرون وتدور رحَاهُم بطحينٍ متناثرٍ لا يُنتج خبزًا ينفع أحدًا، فيَذْكُرُ الناس (الباشا) فلانًا ، و(البِيك) فلانًا، و "النائبَ المحترم الذي قطع العهود على نفسه لدائرته أيام الانتخاب أن يجعل لهم البحرَ طَحِينةً، والحياةَ كلَّها متاعًا وزينة، فلما وضعوه على كرسي مجلس النواب ظل موضوعًا عليه كالجَرَّةِ الفارِغَة لا تَنْضَحُ حتى بالمِشّ!" [(١)].

(١) من مقال (الشيوعية على المصطبة) العدد ٨٧٣ – بتاريخ: ٢٧ /٣/ ١٩٥٠م.

الناخبون حمقَى، والنواب كذابون، فبعد أن ذاقَ النائب حلاوة المجلس، وشبع بطنه من مال المجلس، واتسعت رقعة أرضه بنفوذ المجلس، تحول ذلك النائب إلى جَرة، فبطنُه جرةٌ في عُمْقِها، وجيبُه جرةٌ في امتلائه، وأرضُه جرةٌ في اتساعها، وذمتُه جرةٌ في عرضها وطولها، وهذه الجرة مَلْأَى وفي الوقت نفسه فارغة ، فهي ملآى بما سبق، وفارغة مما يفيد أهل دائرته، فهو جامد كالجرة الفارغة من كل ما ينفع ، فلا تجد فيها حلوًا كالعسل، ولا حامضًا كالمِشِّ، فهو كالأبكم.

المبحث الثاني:

السخرية في مقالات الزيات الدينية:

انصبت سخرية الزيات في مقالاته الدينية على فهم العامة للدين؛ فتراه يسخر من تفريغ المناسبات الدينية من مضمونها، وتحويل الشعائر إلى طقوسٍ لا رُوح فيها، وقد أكثرَ الزياتُ من ذلك حتى لَيَظُنُّ المتلقي أنه يتعمد السخرية من الدين ورجاله، فهو ينقدُ فَهْمَ العوام للحج والصوم والعيد والأضحية والتصوف وغير ذلك، فيصف مشهدًا يسخر فيه من فهم العامة لكلمة (أولياء) ، حيث نراه يتحدث عمن قَدَّم نصيحةً لأحد الأمراء بأن يدَّعيَ الولايةَ والانجذابَ والوجد حتى يتقبله العامة، فيقول:" وجاء يومُ الجَمْع، واحتشدَ الأعيانُ والوجوه يسمعون ماذا يقول الوالي، وجلس (الباشا) وأنا بجانبه وشيوخ المَعَارِف مِن حوله، وأَمَرَ فأُشْعِلَت (الغَلَايِين)[1] الطويلة، وأخذ يَذْكُرُ ويَتَرَنَّح وأنا أَرْسمُ له، والشيوخ يذكرون معه، ثم غَمَزْتُه بعد حين فتَهَوَّر و تَطَوَّر وأَرْغَى، وتظاهرتُ أنا بجَذْبَةِ الوَجْدِ وسَكْرَةِ التَّجَلِّي فقرَعْتُ غِلْيُونَه بغليوني، ثم أخذتُ بلحيته البيضاء ورأسه الأصلع، ففَعَلَ بي مثل ما فعلتُ به، وأَخَذْنَا نتدحرج على البساط، فمرةً أكونُ فوقَه، ومرةً يكون فوقي، والشيوخ يَعِجُّونَ بالذكر، والناس يَضِجُّون بالضحك، وأنا والوالي قد مَلَكَتْنَا حُمَيَّا الولاية فدَخَلْنَا في صراع عنيف لم يُخْرِجْنا منه إلا انقطاعُ النفَس، فجلسنا مسترخين نلهث من الإعياء وكلانا ينظر إلى صاحبه نَظَرَ الديكِ المَنْتُوفِ إلى الديك المَهِيض، وذلك يا مولانا هو الوالي الذي اخْتِيرَ لتعليمِ الجاهل وتصحيحِ المريض!"[2].

---

(١) غَلْيُون: بفتح الغين وضم الياء، أنبوب للتدخين له رأس مجوّف يُحشى فيه التبغ(ينظر: معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، الدكتور فانيامبادي عبد الرحيم، ص١٤٨، ط: دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١م).

(٢) من مقال (من فكاهات العهد التركي) العدد ٣١٤ – بتاريخ: ١٠ / ٧ / ١٩٣٩ م.

والمشهد كله صورة ساخرة متحركة حية لا تحتاج إلى بيان ، فلا يُطلب من متلقيها إلا أن يطلق لنفسه العنان في الضحك، وأن يعيش تلك الكوميديا الشعبية الناطقة بما وصل إليه مجتمع هذه الحقبة من جهل وتخلف وبلاهة، حيث يصور الزيات ملامح ما ارتسم في أذهان العامة من صورة الوَلِي ، تلك الصورة الساذجة التي ترتبط بين الولاية والبلاهة والعَتَه، فلا وِلَايَةَ لشخصٍ إن لم يكن كذلك ، والا وصولَ له إلى الدرجات العُلَى إلا بذلك ، والزياتُ لا يريد أن يفوّت هذه الفرصة ليسخرَ من ذلك الواقع المضحك، فنراه ينتقي من الألفاظ ما يعينه على إبراز هذه السخرية في صورة تَطْغَى عليها الحماقة ، فيختار(يترنح ، تهور ، أرغى) وكأنه يتحدث عن عَنْزَين دار بينهما نِطَاح، ثم يختم الزيات على لسان الزهاوي بجملة تطل منها الحسرة والحزن على ما آل إليه الحال فيقول: (وذلك يا مولانا هو الوالي الذي اختير لتعليم الجاهل وتصحيح المريض) ، وكيف يفعل ذلك وهو الذي يحتاج إلى عقل قبل كل شيء ؟؟.

ويواصل الزيات حملته على الفهم السقيم لأمور الشرع، وعلى من يتخذ الدين سترًا للخداع، ووسيلة للتكسب، وسبيلًا إلى التنصل من المسئولية ، فيحكي لنا قصة ذلك الرجل المتصوف الذي تبدو عليه أَمَارَات المتدينين فيقول:" ذلك الصوفي الهَرِم الذي زعموا أنه كان يركب (الترام) كلَّ صباحٍ إلى ضريح الشافعي، فكلما أقبل عليه (الكمساري) يطلب أَجْرَ الركوب أَدْبَرَ عنه وشَغَلَ لسانه بالذكر ويده بالتسبيح حتى ينصرف إلى غيره، وفي ذات يوم أَلَحَّ المُحَصِّلُ على تغافل الشيخ وسأله عن (التذكَرة)، فلم يَرَ بُدًّا من أن يدفع هذه المرة وهو يقول في هيئة المَفْجُوعِ ولهجةِ الذاهل: "معذرةً يا بني! فقد شُغِلْتُ بالله عن كلِّ شيء" [1].

(١) من مقال (من عجائب الناس) العدد ٤٨٢ – بتاريخ: ٢٨ /٩/ ١٩٤٢م.

كما أسلفتُ قبل ذلك فإننا كثيرًا ما نجد الزيات يلح على خلط نقد المتدينين بالسخرية، وإكثاره من هذا الأمر يجعلنا نشعر بتعمده ذلك، فهو هنا يحاول الربط بين المتصوفين وبين اللصوص والشحاذين والمتاجرين بدينهم، ونراه دائمًا يحاول أن يجعل الدينَ عند بعضهم وسيلةً خداعٍ للعامة والبسطاء ، وهو كذلك عند كثير من الناس ، فالشيخ هنا –كما صوَّرَه الزيات في صورةٍ ساخرة – غاصَ في ذكر الله حتى أصابه الصمم فلا يسمع الكمساري، وأدرَكَتْهُ عبرةُ الخشوعِ فملأَتْ عينيه فأصابته بالعمى فلم يبصر الكمساري، وهو في الحقيقة يتخذ من لباس التصوف والمسبحة واللحية ترسًا يواري خلفه رغبته في الهروب من دفع ثمن (التذكرة) ، ويتمادى في التمويه فيرسم على وجهه سمات المفاجأة لَمَّا لم يجد بدًّا من الدفع بعد إلحاح (الكمساري).

ويستمر الزيات في رسم الصورة الساخرة للمتدينين في المواقف كلها، وعند الطبقات كلها، وفي الأزمنة كلها، وها هو هذه المرة يصور شيخ المسجد في صورة الطيش والنَّزَق ، والطائش النَّزِقُ لا بد وأن يصدر منه ما يضحك، ولا يملك مَن يراه إلا أن يسخر منه، فيقول الزيات: " كان (بَلَدِينَا)[1] الشيخ عبد الجبار خادم المسجد شَمُوس[2] الطبع، طائش الحِلْم، يدُه أسرع من لسانه، ولسانه أَطْوَعُ مِن عقله؛ ولكنه كان كسائر النَّزِقِين أبيضَ القلب سليمَ الصدر، لا تُبْطِئ رِيحُه أن تَسْكُن، ولا تلبث

---

(١) هذه الكلمة بالضبط المذكور كلمة عامية، ومعناها معروف، وقد قصد الزيات إيرادها بنطقها العامي إمعانًا فيما يقصده من إضفاء الطابع الريفي الساذج على الشخص المقصود، ولكنها تضبط أيضًا هكذا (بَلَدِيُّنا) وهي في هذه الحالة فصيحة.

(٢) رَجُلٌ شَمُوسٌ: عَسِرٌ في عداوته على من نازَعه (ينظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب،٢٠٦/١١ ، ط : دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م).

أَنَاتُه أن تعود، ذهب ذات يوم إلى المنصورة يقبض مرتبه من مأمورية الأوقاف، ويَمْتَار لعياله من سوق المدينة، فلما كان عائدًا إلى القرية، فَوْقَهُ مِظَلَّتُه العتيقة، وتحته جَحْشَتُه الرَّيِّضَة[1]، قابَلَه في مضيق الطريق حماران يسيران متوازيين وعليهما سَمَاد الزِّبْلِ والسِّرْجِين[2]، فاقتحم العقبة من بينهما فصدَمَ خُرْجُهُ الأَبْجَرُ[3] أحدَ الحمارين فزالَ عن ظهره الغَبِيطُ[4]، فاستشاط سائق الحمار وقال للشيخ في فورةِ غَضبه: لا عجب ولا ملامة، خُرْجٌ فوقَ خُرْج!! فوقف عبد الجبار دابته، وصَعَّرَ خَدَّه، وقال للمتهكم الغضبان بلهجة المتحدي: ولم لا تقول حمارٌ وراءَ حمار؟! [5].

يسوق الزيات المتلقيَ في طريق يجعله يوقنُ أن المشهدَ لا بد وأن ينتهي بمعركة، أو يحتوي على تشاحن، فتراه لا يترك للمتلقي فرصةً، ولا يدعه يلتقط أنفاسَه ليرتاح من لفظٍ يؤدي إلى هذا المعنى حتى يَفْاجئه بلفظ آخر، فتراه يذكر (طائش ـ نزق ـ يده أسرع من لسانه ـ لسانه أطوع من قلبه) بل إن الزيات قد ضيق على المتلقي مجالَ الخروج من هذه الفكرة فأشار إليه بأنه حتى (الجحشة) التي يركبها

---

(١) الرَّيِّضُ من الدَّوَابّ: الَّذِي لم يقبل الرياضة وَلم يذل لراكبه (ينظر: أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر، الزمخشري، ٣٩٥/١ تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط : دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م).

(٢) روث الدواب، كبعر الغنم والإبل ونحوه من سائر الدواب (ينظر: الجراثيم، ينسب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ٢٥٥/٢، تحقيق: محمد جاسم الحميدي، ط : وزارة الثقافة، دمشق).

(٣) الأَبْجَرُ: العظيمُ البَطْنِ (ينظر: لسان العرب ، مادة : بجر ٤٠/٤).

(٤) ما يوضع على البعير ونحوه ليُركب عليه من رحل ونحوه (ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين المبارك بن محمد، الشيباني الجزري ابن الأثير،٣٤٠/٣، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، ط: المكتبة العلمية - بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

(٥) من مقال (فكاهة لها مغزى) العدد ٨٠٠ - بتاريخ: ١/ ١١ / ١٩٤٨م.

عبد الجبار لها الطباع نفسُها، فوصفها بقوله (الرَّيِّضَة)،فكانت النهاية معركةً اختفى فيها عبد الجبار وغريمُه، وحل محلَّهما ما اختاره كلُّ واحدٍ منهما للآخر، فأصبحَ طرَفَا المعركة خُرْجًا وحمارًا.

وقد كان للأزهر نصيبه من سخرية الزيات، فنرى الزيات يسخر من نفوذ الامتيازات الأجنبية في مصر حتى في معقل الدين، فيتحدث عن طالبٍ من دولة جنوب إفريقية قُبض عليه متلبسًا بالغش في الامتحان، فكان الطردُ نصيبَه، وإلغاءُ الامتحان عقوبتَه، ولكنْ بما أن جنوب إفريقية كانت تابعة لإنجلترا صاحبة الامتيازات في مصر فقد تقدم والد الطالب بشكوى للإدارة العليا للأزهر، فأعيد الطالب إلى الامتحان، وأُهينَ جميعُ من تعرض للطالب بسوء، فيقول الزيات ساخرًا: "وعَجِبَ المدرسون والطلاب إذْ رأوا التلميذ الذي طُرِد بالأمس، يعود إلى مكانه اليوم وهو أضخمُ مما كان جُثَّة، وانْضَرُ طَلْعَة، وأطول رقبة!! [(١)]".

لا يكاد المتلقي يقرأ هذه العبارات إلا ويرى أمامه ذلك الشاب الذي انتصر وظفر، فقادهُ الظفرُ إلى تَوَرُّدِ الخدود وانتفاخ الأوداج، وقادَه النصرُ إلى اتساع الخُطَى وضخامة الجسم وطول العنق، وكل ذلك لم يحدث حقيقةً، وإنما هو شعورٌ داخلي يشعر به المنتصر كنتيجة طبعية لانتشار دماء الزهو في أوردته، فلا عُنُقُهُ طالَ ولا جسمُهُ امتد، ولكنه يتعمد مدَّ عنقه في سخرية ليرَاه المنهزمون، ويقصد رفع صوته ليسمعه المنكمشون، وربما المقصود أنهم هم الذين انكمشوا، فصَغُرَت أجسامُهم، وقَصُرَت أعناقهم، وذهبت الدماء من وجوههم، فظهر الأمر وكأن الطالبَ هو الذي استطال، فإذ بهؤلاء المساكين يقابلون شخصًا غيرَ الشخص الذي هزموه، وطريقة

(١) من مقال (الامتيازات والدين) العدد ٤٩ – بتاريخ: ١١/ ٦/ ١٩٣٤م.

في الكلام غير الطريقة التي كسروها، فصاروا ينظر بعضهم إلى بعض قائلين في حيرة ممزوجة بالبلاهة المضحكة: أهذا هو أم أنه غيره ؟.

وبمرور الزمن نجد نقد الزيات لسلوك أهل الدين يتمدد ليشمل من يجالسهم ، ومن يقص أخبارهم، ومن يلجأ إليهم، والزيات في هذا المقال يحدثنا عن قصة رجلٍ عراقيٍّ ابتلي بمعضلةٍ شرعية فذهب لمفتي بغداد يسأله الغوث ، فأرشده المفتي إلى حل ساذَجٍ ينم عن جهلٍ وحمق ؛ حيث نصحه أن ينخلع من ماله كله ، وأن يتخلى عن جاهه كله، وأن يَهِيمَ في البرِّية مع الحيوانات والهوام، فذلك هو كفارة ما صنع، وقد استمع الزيات إلى تلك القصة من رجل يسمى (عبد الواحد)، حيث سرد عبد الواحد القصة وهو مشدوهٌ بأحداثها ، مؤيد لفتوى الشيخ ومعجب بها ، ولكن الزيات كان له رأي آخر، حيث قال ساخرًا من فتوى الشيخ في شخص عبد الواحد :" شَرِبَ عبد الواحد وسقانا ثلاثةَ أقداحٍ من الشاي المُعَطَّر، ثم أَطْلَقَ من حنجرته القوية جَشْأَةً طويلةً عريضة كخوار العجل، ثم حَضَأَ[1] النارَ بأنامله ..."[2].

يرسم الزيات بعبارتيه هاتين صورة ساخرة مضحكة لأحد القصاص وهو يقص تلك القصة الشعبية التي حفر الزيات لنفسها في وسطها نفقًا يدلف منه إلى ما يبتغي من السخرية مما يراه مستحقًّا للسخرية، جملتان قصيرتان مكثفتان نجح الزيات في شحنهما بالسخرية من راوي هذه القصة، فنحن دون أن نرى عبد الواحد أو نسمع صوته قد جعلنا الزيات نراه ونسمع صوته ، فالجشأة الطويلة العريضة كخوار العجل رسمت لعبد الواحد صورة كاملة في مخيلتنا، فالزيات قد اعتاد ربط ألفاظه باللون والشكل والحجم ، وذلك معهود في عامة مقالاته، وعلى ذلك فعبد الواحد شخص

---

(١) حَضَأَ النار: حركها لتشتعل (ينظر: العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ٣/٢٦٤ ، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي ، ط : دار ومكتبة الهلال).

(٢) من مقال (قصة عراقية) العدد ٢ – بتاريخ: ١/ ٢/ ١٩٣٣ م.

ضخمٌ بَدِين، ويزيد من تمكن تلك الصورة في أذهاننا قول الزيات بعد ذلك "ثم حَضَأَ النارَ بأنامله"؛ فكونه يحرك الجمر المُتَّقِدَ بأنامله لا بِخَشَبَةٍ أو حديدة فذلك يعني خشونة أطرافه وتَبَلُّد جلدِه، مما يعني أنه من العامة العَمَلَة لا من المثقفين، هذا فيما يخص جسده، أما صوته فخشن جَهْوَرِي مُفزع، فذلك الذي يليق بالأوصاف التي ذكرها الزيات (جشأة طويلة ـ عريضة ـ كخوار العجل)، فما الذي تبقى لعبد الواحد من صفات الحمق ؟! صوت مزعج صاخب ، جسد ضخم مترهل ، جلد خشن جاف ؟، فكان للزيات ما أراد.

ويقول في العيد: "لا يكاد يَفْرغُ القرويون من صلاة المغرب ليلةَ العيد حتى ترى طريقَ المقبرة يسيلُ بالفوانيس الشاحبة الخَافِتَة، ثم يعودون وقد كفاهم (الفقهاءُ) مَئُونةَ ما حملوا من الكعك والفاكهة..."[١]

يرسم الزيات بعبارته هذه صورة لطيفة مضحكة ، طرفها الأول مجموعة ممن سماهم (الفقهاء) يجتمعون على المقابر لقراءة القرآن انتظارًا لما يجود به زوار المقابر من فاكهة وطعام، وطرفها الآخر زوار تلك المقابر وقد جاءوا محملين بما لذ وطاب ، والجانب الساخر من تلك الصورة يتمثل في تعامل (الفقهاء) مع الزوار وكأنهم أطفال صغار يَسُوغُ خداعُهم، أو حمقى يسهل العبث بعقولهم، فنراهم يُوحون إلى الزوار أن هذه الأحمالَ مِن الطعام والفاكهة ثقيلة عليهم، تنوء بها ظهورهم، وتئِن منها أرجلهم، وأنهم بِأَخْذِها إنما يصنعون فيهم معروفًا ، ولا ينتظر (الفقهاء) الجوابَ من الزوار، وإنما تمتد أيديهم إلى تلك الأحمال ولا ترجع حتى تنال أَدْنَاها وأقصاها.

وتلك الصورة امتدادٌ للسخرية التي طالما عبر عنها الزيات بسبب تفريغ تلك المناسبات من مضمونها؛ فعيد الأضحى أصبح (خروفًا) يُذبح للأكل لا لإحياء

---

(١) من مقال (عيد الأضحى) العدد ٣٨ – بتاريخ: ٢٦/ ١٩٤٣/٣م.

الشعيرة، وعيد الفطر أصبح (كعكًا) يُصنَع لشحن الكروش لا للإيذان بختم الصوم، والحج أصبح موسمًا للكتابة على باب الدار وجدرانه (الحاج فلان)، والقرآن لا يصل ثوابه إلى الميت إلا إن قرأه أولئك (الفقهاء) المسيطرون على القبور، مما صير هذه المناسبات عادات تسربت منها الروح شيئًا فشيئًا.

المبحث الثالث:

السخرية في مقالات الزيات الاجتماعية.

المجتمع هو السندان الذي تَدُقُّه مطرقة الحوادث، وهو الطبل الذي تضربه يدُ النوائب؛ ولذلك فإن صورة الحياة الاجتماعية غالبًا ما تكون مرآة للحياة بشتى أشكالها ، فالسياسة تغير من عادات الناس وتقاليدهم، والدين يفعل أكثر من ذلك، والثقافة كذلك، فمن يطَّلع على الحياة الاجتماعية لشعب من الشعوب يمكنه أن يعرف مقدارَ ثقافتهم ، وعمقَ سياستهم، ونفوذَ دينهم ؛ لذا كانت النزعة الاجتماعية هي الطاغية على مقالات الزيات في وحي الرسالة ، وبالطبع لم يغب عنه أسلوبُه الساخر في النظر إلى القضايا الاجتماعية التي يعالجها.

فها هو يسخر من نفسه بأسلوب طريف وهو ينتقد أمية الطبقة العليا آنذاك فيقول: "فعذرْتُ ذلك (الباشا) القاروني الذي أَهْدَيْتُ إليه الرسالةَ لصلةٍ بين أخي وبينه، فَرَدَّها عليَّ وقد كتب على غلافها الأبيض بالقلم الغليظ: (مَرْفُود) ، فوَقَع في نفسي أن (الباشا) يتشبه بالملوك والخلفاء في رِفْدِ المُعْوِزين من الأدباء والشعراء، فهممتُ أن أكتب إليه أشكره وأستعفيه، لولا أن نبهني صديقٌ أوتِيَ منطق الناس أن (مرفود) معناها (مرفوض)"(١).

تنتاب المتلقي نوبة من الضحك وهو يتصور منظر الزيات وقد أمسك بالقلم ليكتب رسالة شكر لذلك الباشا، فلما نبهه صديقه إلى أن كلمة (مرفود) عكس ما يظن، اتسعت عينا الزيات، وبدت عليه علامات التساؤل المبرر، ولم يَزُل عنه ذلك حتى كشف له صديقه عن معنى الكلمة، وأنها نقيض ما فهمه، فزال عجب الزيات، وعادت حدقتاه إلى الحجم الطبيعي، وتسللت الحماسةُ لِوَاذًا من أطرافه، وارتخت يداه

---

(١) من مقال(لو كنا نقرأ) العدد ١٨٨ – بتاريخ: ٨ /٣/ ١٩٣٧م.

فسقط القلم، وأدرك أنه بإهدائه الرسالة لذلك الشخص صار كمُعَلِّقِ الدر في عنق خنزير.

وألمح من بعيد أن الزيات ينوه بفصاحته، ويشيد بخُلُوص عربيته؛ فكأنه يريد أن يقول للمتلقي إنه لا يعرف عامية العوام ، ولا يفهم الألفاظ المحرفة، لذا وقع في هذا الموقف السخيف.

ويحدثنا الزيات عن بعض عادات عِلْية القوم، أو الطبقة (الأرستقراطية) في فهمها للدين وتطبيقها لشعائره، حيث أخضع هؤلاء الدينَ لعاداتهم الاجتماعية التي توارثوها عن أجدادهم (الباشاوات) ؛ فهم يصومون ولكن لا يجوعون، يصلون ولكن يخشعون، يعرفون رمضان ولكن لأحكامه لا يخضعون، فيسخر الزيات من هذه العادات التي جعلت الصوم نزهةً خفيفةَ الظل، ورحلةً برّية بين الرُّبَى، لا مشقةَ فيه ولا إحساس بالجوع، فيصور الزيات ذلك واصفًا أحد (باشاوات) هذه الطبقة فيقول: " ها هو ذا الباشا البَطِين يَتَذَبْذَبُ وَئِيدًا بين المطبخ والمائدة كأنه رَقَّاصُ الساعة "(١).

يصور الزيات في هذه العبارة الساخرة مشهد صوم الطبقة الأرستقراطية آنذاك، ذلك الصوم الذي لا يحمل من المعاني إلا تلك الأحرف الثلاثة البائسة، فهو صومٌ باهتٌ لا لون له، وشكل مصطنع لا روح فيه، عادة مثل أي عادة، يصومون كما يصوم الناس، ويفطرون كما يفطر الناس، تغمرهم السعادة بقدوم رمضان لكونه موعدًا لتغيير العادات وقطع الرتابة التي يعيشونها العامَ كله ، والباشا الذي يصفه الزيات جزءٌ من هذا المجتمع ، لا يعنيه سوى ما يُعِدُّه الخدَمُ من أصناف الطعام، وقد حباه الله ببطن مستدير عظيم يتدحرج به نحو المطبخ كالكرة جيئةً وذهابًا، ويكرر ذلك مرات ومرات بالطريقة نفسها وبالنظام نفسه، وكأنه رقاص الساعة، ورقاص الساعة

(١) من مقال (الصيام بين عهدين) العدد ٢٢٨ – بتاريخ: ١٥ / ١١ / ١٩٣٧ م.

عمودٌ طويل آخره حلقة مستديرة، يروح ويجيء على الدوام في دقة متناهية ، وهكذا الباشا، عمود بَدِينٌ له دائرة _ يعني كِرْشَه _ ، وكونه يشبه رقاصَ الساعة فذلك يعني أن له دَوِيًّا وطَنِينًا يتمثل في سؤاله الدائب عن الطعام ، وإلحَاحِه الدائم على مناوشة الخدم، فصار يشبه رقاص الساعة في الحركة والصوت.

ويمزج الزيات في مهارة شديدة بين السخرية وبؤس الحال حين يشير إلى ما وصل إليه حال كثير من المصريين آنذاك من فقر وجهل وقلة حيلة، حيث يتحدث عن فتاة ارتفعت درجةُ حَرَارتِها، فلما مَنَّ الله عليها بالشفاء اعتذرَتْ للزيات بسبب إزعاجهم له وقالت له: " لقد فهمتُ من الحديث الذي جرى أن حرارة المصباح الشديدة هي التي رفعت درجة مقياس الحرارة حين أدناه أخي من لهيبه وقلَّبَه طويلًا على حَرِّه"(١).

لا يملك المتلقي لهذا المشهد إلا أن يبتسم؛ فالزيات يرسم بكلماته لوحةً من السذاجة المبرَّرَة، والحماقة غير المَمْجُوجة ، فالمجتمع في تلك الحقبة لم ينل من التعليم حظًّا ، ولا من المعرفة بالطب نصيبًا، فكل مَن يرى هؤلاء الناس يجد التصرفات مشوبة بالسخرية، والكلام مشبَعًا بالضحك ، والعجيب أنهم لا يلحظون من ذلك شيئًا، ولا يظنون إلا أنهم في هَمٍّ كبير وحالٍ لا يملك من يراها إلا الرثاء ، فها هم يضعون مقياس الحرارة على المنضدة بجوار المصباح، ثم يضعونه في فم المريضة ثم يخرجونه فيجدون الحرارة مرتفعة جدًّا ، فيركبهم الهَمُّ ، ويعتريهم الفزع، لولا وجود من انتبه إلى أن الحرارة حرارةُ المصباح لا حرارة المريضة.

والمشهد على ما فيه من فكاهة يصور حال غالب عوام المصريين في تلك الحقبة، فقرٌ مُدْقِعٌ، وأميةٌ طاغية، وتصرفات تلقائية تثيرُ الضحك، وقلةُ حيلةٍ تثير السخرية.

---

(١) من مقال (أسرة طيبة ٢) العدد ٨٠٢ – بتاريخ: ١٥ / ١١ /١٩٤٨ م.

وهو الأمر نفسه الذي يريد الزيات أن يرسمه في سخرية عن البسطاء وطريقة عيشهم وقدرتهم على الفهم، حيث يقول :" كانت قريتُنا حين وَعيتُ لا تفهم من الحشيش إلا العشب، ولا من الحَشَّاش إلا من يَحشُّ البرسيم"(١) ، فالزيات يتحدث عن انتشار تدخين الحشيش في شباب المجتمع في تلك الحقبة، ويعطي للمتلقي انطباعًا بنقاءِ سريرة أهل القرية وفطرتهم السليمة المعزولة عن تلك الموبقات ، فما هذا الحشيش ؟؟ الحشيش الذي يعرفه أهلُ القرية هو ما تأكله البهائم، والحشاش عندهم هو من يحش البرسيم ، فإذا كان هؤلاء لا يملكون كلفَةَ زراعة البرسيم فهل يفكرون في زراعة الحشيش فضلًا عن معرفة ماهيته ؟؟.

ويستغل الزيات أمرين اجتماعيين ليتخذهما خادمين لقلمه الساخر، الزواج وعلاقة الجيران بعضهم ببعض ، وفي الأمرين يسخر الزيات من الشيء نفسه، ويرسم الصورة نفسها ؛ إذ المقصودان لهما الأوصاف نفسها ، والحجم نفسه، والشكل الهندسي نفسه، فهما شخصان بدينان مستديران غاصَتْ معالمُهما في بحر من الشحم بحيث يحتاج الناظر إلى عَدَسَةٍ مكبِّرَة ليتعرف على ملامح أيٍّ منهما، ففي الزواج يسخر الزيات من رغبة الأثرياء في تزويج ابنتهم مهما أكل الزمان عليها وشرب ، ومهما اتخذها القبح خِدْنًا وحِبًّا ، فتراهم يحاولون ستر ذلك القبح بمساحيق المال الوفير، والجاه العريض، ويضرب على ذلك مثالًا لفتاة لها تلك الأوصاف فيقول: " ولكنْ أَعْجَبُ العجبِ أن يشترطَ أهلُها عقدَ الزواج من غير رؤية، وتعجيلَ يومِ الزفاف من غير مُهْلَة، والحَقُّ أني تَمَثَّلْتُها حين دخلتُ بها كومةً عاليةً من اللحم والشحم، وفي ذرْوَةِ الكومة نَتَأَ رأسٌ كرأس أبي الهول، طَوَّقُوا أسفلَه بالذهب وأعلاه باللؤلؤ ،ولا تَسَلْ عن الذراعين والساقين؛ فإنهن قوائمُ فيلٍ أو أَسَاطِينُ هَيْكَل!"(٢)، وفي

---

(١) من مقال (من ذكريات الغربة ـ قصة حشاش) العدد ٩٠٨ – بتاريخ: ٢٧ / ١١ /١٩٥٠م .
(٢) من مقال (حول مشكلة الزواج) العدد ٤١٤ – بتاريخ: ٩/ ٦/١٩٤١م.

علاقة الجيران بعضهم ببعض يسخر الزيات من اعتزال الجار عن جاره ، ضاربًا لذلك مثلًا بجاره البدين المستدير القصير الذي لا يعرف عنه إلا تلك الأوصاف ، ولا يستطيع تمييزه إن رآه في الطريق إلا بتلك الأوصاف ، فهو لا يعرف اسمَ جارِه ولا يعرف جارُه اسمَه، فيقول عنه:" ومالي أَطِيلُ عليك بالوصف، وأنت تستطيع أن تخففَ مَئُونَتَه على قلمي إذا تصورت كرةً أرضيةً من الخشب أو من غيرِه قُطْرُها مِتْرَان، وُضِعَ فوق قُطْبِهَا الأعلى وجهٌ عليه طربوش، وتحت قُطْبِها الأسفل قدمان هما حِذَاء، ثم تَدَلَّى من الجانب الأيمن ذراعٌ قصيرة في آخرها مَذَبَّةُ عَاجٍ، ومن الجانب الأيسر ذراع أخرى في طرفها جريدة الوطن"(١).

كما يقال: إذا عُرف السبب بطل العجب، ففي المقال الأول يعجب من إصرار أهل العروس على إتمام الزواج والتعجيل به دون رؤية شرعية، فلما رآها زال عجبُه، فَمِثْلُ هذه الفتاة لا يُرَى، وكيف للعقل أن يُحَوِّل كومةَ لحمٍ إلى فتاة، وكرةَ شحمٍ إلى عروس، لا يُعرَف قطبُها، ولا يُفَرَّقُ بين بدنها ووركَيْها ، فصارت كحَبَّةِ البطاطس التي أصابها الدَّرَنُ فَنَتَأَت لها حبةٌ أخرى فوقها أصغر منها ، فصارت كحبتين في حبة ، فلا العقل يقبل، ولا القلب يرضى، ولا النظر يتمتع.

ولننظر في قوله (نتأ) فكأن جسمَها كان من غير رأس، فلما فاض شحمُه، وكثر لحمه، بحَثَ ذلك الجسم المسكين عن مُتَنَفَّسٍ له فلم يجد إلا أعلاه، فتنفس نفسًا مفعمًا بالشحم والسمن فتحول ذلك النفسُ إلى رأس، ورأسُ الشحمِ شحمٌ، وبِذْرَةُ السِّمَن سِمَنٌ، فكانَ الرأسُ صورةً مصغرةً للجسم، كرةٌ صغيرة ملتصقة بكرة كبيرة.

وقد حاول ذَوُوها أن يُحَسِّنوا من حال هذه الكرة فطَوَّقُوها بالذهب واللؤلؤ من أعلى ومن أسفل، ولكن هيهات، فما ازدادت الرأسُ بذلك إلا بروزًا، حيث ميزوها بالذهب

(١) من مقال (أسرة طيبة) العدد ٨٠١ – بتاريخ: ٨ / ١١ /١٩٤٨ م .

وكأنهم يقولون لغير المنتبه: انتبه، هنا يوجد رأس، وكيف ينتبه الرائي إلى رأسٍ اختبأ عَنْوَةً بين أحضان جسد يكاد ينفجر من الشحم واللحم ، وذراعين كأساطين القصور، ووركين كقوائم الفيل.

وفي المقال الثاني لم تختلف الصورة الساخرة في شيءٍ سوى أن كرةَ اللحم تحولت إلى كرة خشب، وذلك تَحَوُّلٌ مفهوم لكون الزيات يتحدث هناك عن أنثى وهنا عن ذكر، والأنثى أَرَقُّ وأطرى فناسَبَها اللحم ، والذكر أخشن وأيبس فناسبه الخشب.

ثم تزداد السخرية بما يشير إليه الزيات من بعيد من كون هذه الكرة تحتاج إلى التوازن، وإلا تدحرجت على غير هدى وإلى غير مكان، فهي تحاج إلى أثقالٍ متقابلة تضمن لها الرسوخَ وعدمَ الزوال، فكان (الطربوش) وَتَدًا في الأعلى والحذاءَ مسمارًا في الأسفل، وكانت مَذَبَّةُ العاج ثقلًا في اليمين والجريدة في الشمال ، فحُفِظت الجثة من الزوال، كما تُحفظ الأرض بالجبال.

ويربط الزيات في سخرية بين الغباء وبين بعض عِلية القوم الذين حازُوا الثراءَ حديثًا، ولاقَوُا الجاه على حين غفلة، فلم يسبقهم إليه جَدٌّ غَابِر، ولا بذلوا في سبيله الجهدَ الوافر، فيقول عن أحد هؤلاء الأثرياء: " استشارَ الطبيبَ فأشار عليه بفيتامين (بي)، فقال له: ولِمَ لا تشير بفيتامين (باشا)؟ ، وأنه طلبَ إلى رَسَّامٍ أن يرسمَه فسأله: أتريد الصورةَ بالزيت؟ فقال له: كلا، بل أريدها بالسَّمْن"[1].

الغِنَى المُحْدَث فيه غباءٌ ونَزَق، وهذا الرجل يسمع غيرَ ما يقال، ويفهم غيرَ ما سمع، ويطلب غيرَ الموجود، ويحَوِّلُ الألفاظَ إلى أَرْغِفَة، والجُمَلَ إلى أطباق، فالموسيقى عنده قَرْعُ مَعَالق، والتصفيقُ قَعْقَعَةُ قُدُور، والدواء (نيشانٌ) وترقية، وألوانُ

(١) من مقال (من مخلفات الحرب هذا الطبلاوي أفندي) العدد ٦٧٦ – بتاريخ: ١٧ /٦ / ١٩٤٦ م.

الرسم سَمْنٌ وشَحم، حيث طغت وسائلُ النعيم المُحْدَث والغِنى الجديد على عقله فسَلَبَتْه الانتباهَ إلى ما يُلْقَى على سمعه، أو إلى ما يجري على لسانه، فإذا به لا يسمع غير ما يشير إلى ذلك السبيل، ولا يتكلم إلا بما يليق بذلك النهج، فالرجل فَهِمَ من قول الطبيب (بي) أنه يقصد (بيه) التي هي رتبة أقل من (باشا) ، فطلب الرتبة العليا ، وفهم من قول الرسام (بالزيت) أنه يقصد أكلةً تُطْهَى بزيت الطعام، فطلب منه أن تكون بالسمن ، ففي الأولى حَلَّ جاهُهُ المُحْدَث النَّزِقُ مكانَ لسانه، وفي الثانية حلت معدتُه الشَّرِهَةُ محلَّ عقله ، فنطقَ بما يثير السخرية والضحك.

ويتحدث الزيات عن إحدى نساء القرية، إنها أم عامر، التي إن جاوزت الستين فهي امرأة، وإن جاوزت حتى المائة فهي امرأة، طبعُ النساءِ لا يفارقها ، والرغبة في تصغير السن لا تنفك عنها، فيصور ذلك في صورة ساخرة فيقول:" أُمُّ عامرٍ قرويةٌ شَيْخَة، تَعُدُّ الستينَ في سِرِّها، ولكنها كسائر النساء لا تجاوز الثلاثين في جهْرِهَا"(١).

وهكذا النساء في كل عصر، تَقْبَلُ كلَّ حديثٍ إلا حديث الناس عن عمرها، وتجيب عن أي سؤال عدا سؤالها عن سنها، تُخْفِي الشيبَ كما يُخْفِي المُحْدِثُ فضيحتَه، تحارب تجاعيدَ الوجه كما يحارب العدوُّ عدوَّه ، تَحْمِلُ نفسَها على حمل الأثقال لتظهِرَ صِبَاها، وتُسْرِعُ الخَطْوَ لتبديَ رشاقتَها، تَهَشُّ لكل كاذبٍ يمدحها بصغر السن مع يقينها بكذبه، وتكره كلَّ مُلَوِّحٍ بكبر سنها مع يقينها بصدقه ، إن سألوها عن عمرها اقتطعت نصفَه فرَمَتْهُ في البحر، وهكذا أمُّ عامر، تعرف أنها تجاوزت الستين ، ولكنْ تلك معرفةٌ سريةٌ لا تُجَاوِزُ صدرَها، أما إن سُئِلَت علانيةً فإنها لا تجاوز الثلاثين قِيدَ أنملة، فهي تسخر من نفسها، والناس يسخرون منها، والزيات يسخر من المشهد كله.

---

(١) من مقال (قروية فيلسوفة) العدد ٨١٣ – بتاريخ: ٣١ / ١ / ١٩٤٩ م .

ويصور الزيات مشهدًا ساخرًا من مشاهد أهل القرية البسطاء الذين يجمعهم برلمان(المسطبة)، ويؤلف بينهم عقد المآسي التي لا حل لها، فيشبه الزيات أحاديثهم بأصوات العصافير المتداخلة العشوائية حين اجتماعها على الشجرة آخر اليوم ، فيقول:" وللريف شعراء كعصافير الحصاد، تَقَعُ في الجُرْنِ ولا تقع في الرَّوْض، وتُزَقْزِقُ للحَبَّة ولا تزقزق للزهرة، وحديث الناس في القرية كَشَقْشَقَةِ العصافير في الشجرة ، تَسْمَعُ كلَّ عصفورٍ يُغَرِّدُ، ولا ترى عصفورًا واحدًا يَسمَع!" [1].

وتتمثل السخرية في المشهد في أن كل واحد من هؤلاء المساكين يعيش مأساته وحدَه، ويعانيها وحده، وحتى عندما يَبُثُّها أحدًا من الناس فإنه يبثها وحده ولنفسه دون سامع، فالناس كثيرون ولا أحد يستمع إليه، وكل واحد منهم له مأساته التي جاء إلى (المسطبة) لِيَبُثَّها لا ليستمع إلى غيرها، فكأنه استخرج من نفسه نَفْسًا فجَسَّدَها أمامه وظل يخاطبها في ركنٍ لا يشاركه فيه أحد، مع أنهم مجتمعون في مكان واحد، كما أن شهوة التَّكَلُّمِ – حتى ولو كان يكلم نفسه – أعلى من شهوة الاستماع ، ولذةَ الاحساس بانصراف النظر إليه وهو يتكلم أكبرُ من لذة أن يكون فردًا من مجموعٍ يستمع، فكأنهم صبيانُ كُتَّابٍ يعلو صوتُهم دون تمييز، ويكثر كلامُهم دون ترتيب، وذلك المجلس يمثل مُتَنَفَّس المكروب، وروضة المقفِر، وحلوى المُعْدَم، فيرجعون من هذا المجلس وقد ارتاحت صدورهم، وشرعوا في ترتيب أفكارهم التي سيبثونها أنفسَهم المجلس القادم.

وينتقد الزيات في سخرية ظاهرة التغريب التي سادت شباب المجتمع المصري خاصة والعربيِّ عامةً في تلك الحقبة، وذلك التأثر الشديد بالعادات الأوروبية، ظنًّا من المقلدين أن هذا هو التحضر والتمدن، فصاروا يقلدون الأوروبيين في القبلات

(١) من مقال (في القرية ـ من أحاديث العيد) العدد ٢٤١ – بتاريخ: ١٤ / ٢ / ١٩٣٨ م.

المحرمة، والغمز بالعيون، وتحريك الأطراف حركات مثيرة ، ووضع القبعات على الرءوس للشباب والفتيات، فيصور ذلك في إطار فكاهي يتحدث فيه عن كلابٍ بلدتهم التي يبدو أنها أرادت هي الأخرى أن تأخذ حظَّها من نفحات أوروبا، فيقول :"وأُلْقِي في رُوعِها أن تأخذ بطرفٍ من مدنيّة الكلاب الأوربية، فأحسنت لَثْمَ الفم، وأتْقَنَت مَلَقَ العين، وأجادت بَصْبَصَةَ الذيل، ثم أسرفت في الرقة، وأغرقت في التَّظَرُّف، حتى لَيَكَادُ كلُّ كلب منها أن يقول: ضعوا على رأسي القبعة!!"(١).

إنها سخرية لاذعة، ونقد حارق، فالزيات يدمج في هذه العبارات بين مشهدين، مشهدِ تصريحٍ ومشهد تلميح، فهو أولًا يُلمح إلى أن المشهورَ بالتقليد الكلبُ ؛ فهو يبصبص كما عُلِّم، ويَرْبِضُ كما أُمِر، ويتحرك كما يشار إليه، ويهز ذيله كلما طلب منه، ومقلدو الغرب كذلك ، فقد قلدوا الغرب في كل شيءٍ كما يفعل الكلب في خضوع وطاعة، ثم هو ثانيًا يصرح بتفشي التغريب وظهور أثره فعليًّا على المجتمع العربي، بل إن أثره ظهر حتى على حيواناتهم ، فصار الكلب العربي ينظر كنظرة الكلب الأوروبي، ويهز ذيله كهزة الأوروبي، بل إنه ترك طبعَه العربي من نباحٍ وشراسةٍ وصيد وحراسة ووفاء، وتَخَلَّقَ بالطبع الأوروبي في التظرف واللطافة والرقة، حتى لم يبق له من طباع الكلاب الأوروبية إلا أن يضع على رأسه قبعة.

(١) من مقال (مثل المهذبين من بني آدم) العدد ٨٠٤ – بتاريخ: ٢٩ /١١ / ١٩٤٨ م .

الفصل الثاني

الدراسة الفنية:

المبحث الأول: الأسلوب

ـــــ المعجم اللفظي :

إن انتقاءَ اللفظ فنٌّ ومهارة لا يتأتى لكل أحد؛ فالكاتب المبدع هو الذي يُوَفَّق في اختيار اللفظة التي تعبر عن شعوره، فَلَرُب لفظةٍ تكون أَوْفَق في تأدية المعنى من غيرها، ولرب لفظة تقود المتلقيَ إلى معنًى لم يقصده المتكلم، كما أنه من الأهمية بمكان أن يتناسب اللفظ مع زمنه وتجربة صاحبه.

وقد اشترط النقاد في اللفظ أن يكون سمحًا سهل المخرج، وأن يكون عليه رونقُ الفصاحة، مع الخلو من البَشَاَعة[1]، وأن يتجنب الكاتب الحُوشِيَّ من الألفاظ، والسوقيَّ المبتذلَ بالتداول والاستعمال؛ فإنه ينزل بالكلام عن طبقة البلاغة فيصير مبتذلًا عديمَ الفائدة[2]، فالألفاظ للأدب بمثابة عناصر الغذاء أو حبّات العقد، ولصوغها أثرٌ كبير في جودة الأسلوب وقوته [3].

والحديث عن المعجم اللفظي يقودنا إلى الألفاظ التي أكثر الزيات من إيرادها، وأَزْعُم أن الإحاطة بالمعجم اللفظي لكاتبٍ أو شاعر يُمكن أن يعطينا صورة شبه

---

(١) ينظر: نقد الشعر ـ قدامة بن جعفر ـ تحقيق د . محمد عبدالمنعم خفاجي، ص ١٧١، طـ: دار عطوة ـ القاهرة ١٩٧٩م.

(٢) ينظر: مقدمة ابن خلدون، صـ ٥٧٥، طـ: المكتبة التجارية ـ مصر.

(٣) ينظر: الأصول الفنية للأدب ـ د. عبدالحميد حسن، صـ ٢١٠، طـ: مطبعة دار العلوم ـ مصر ١٩٦٤ م.

كاملة عن نفسيته وتجاربه؛ فتكرار لفظ بعينه باشتقاقاته في مواضع متفرقة يدل على تمكُّن مدلول ذلك اللفظ من نفس الكاتب وترسخه في ذهنه، الأمر الذي يُمَكِّننا من العيش معه في تجربته، واستشعار ما يجول في نفسه من خواطر.

ومن خلال النصوص سالفة الذكر يمكن تحديد ملامح المعجم اللفظي للزيات في عدة محاور:

الأول: إكثارُه من الألفاظ المتعلقة بالقرية وما يحيط بها من وسائل وأشخاص ومقومات حياةٍ وطبائع، مما يعكس أثر البيئة في نفس الزيات، فقد نشأ الزيات في قرية (دميرة) بالمنصورة، وعاش فيها ردحًا من الزمن، ولم تنقطع صلته بالقرية حتى بعد أن ذاع صيته واشتهر قلمه، فتراه يكثر من ذكر حيوانات القرية متخذًا إياها وسيلة للسخرية الموظفة ، فيذكر العِجْلَ مشبهًا به عبد الواحد في مقال(صديق الكلاب) موظفًا العجل توظيفًا صوتيًّا أجبر المتلقي على وضع يديه على أذنيه ليتقي بهما الارتفاع المنكر لصوت عبد الواحد، فيقول :" ثم أطلق من حنجرته القوية جشأةً طويلة عريضة كخوار العجل"[(١)]، ثم يعود فيذكره مرة أخرى في مقال (جمعية نهضة القرى)[(٢)] فيشبه به الطفل ليفرض على المتلقي تصورَ كثرة حركة ذلك الطفل ولعبه المتواصل، فيقول:" والطفل والعجل"، وفي المقال نفسه يذكر "الرجل والثور" ليربط في ذهن المتلقي بين كبيري العائلة في الجنسين، ثم يعود مرة رابعة في مقال(أكل هذا يصنع البرلمان)[(٣)] فيشبه طريقة التعامل بالحسنى مع رجال السياسة بالعجل قائلًا إنها لا :"تساوي عجلًا في دَوَّار الباشا"، ليشير إلى أن كليهما _ الكلام والعجل_ سيبلعه (الباشا)، فالعجل سيُبتلع على هيئة طعام، والكلام سيبتلع على هيئة تجاهل،

---

(١) من مقال قصة عراقية ، العدد ٣٨ بتاريخ ٣٦ /٣/ ١٩٤٣م.

(٢) العدد٩٤ بتاريخ ١٩٣٥/٤/٢٢م.

(٣) العدد ١٥١ بتاريخ ١٩٣٦/٥/٢٥م.

ويذكر العصفور في مقال(في القرية)[١] فيقول "تسمع كل عصفور يغرد ، ولا ترى عصفورًا واحدًا يسمع"؛ ليربط بين المتحدث وبين صفتي الضعف وعدم انتظام الصوت، ويذكر جحشةً وحمارين في مقال (فكاهة لها مغزى)[٢] فيقول عن خادم المسجد:" وتحته جحشته الرَّيِّضة، فقابله في مضيق الطريق حماران" فيربط بين الشخوص والمطايا والراكب والمركوب؛ ليلمح من بعيد إلى سذاجة وغباء من يتحدث عنه ، ويذكر "الديك المنتوف" في مقال (من فكاهات العهد التركي)[٣] ليرسم في الذهن الجهد الجهيد الذي أصابه في دحرجته الساخرة مع الباشا جرّاء ما أصابهما من سكرة الوجد الكاذب وحُمَيَّا الولاية المُدَّعَاة .

وينتقل الزيات بالمتلقي إلى جانب آخر من ألفاظ البيئة القروية غير الحيوانات والطيور ، فيضرب مثالًا للاجتماع العشوائي بـ (الزَّرِيبَة) في مقال (جمعية نهضة القرى)[٤]، ويذكر (الدوار) وهو مكان اجتماع العائلة في مقال(أكل هذا يصنع البرلمان)[٥]، ويعود فيذكره في مقال(من صور الماضي)[٦]، ويذكر (سماد الزبل والسرجين) في مقال (فكاهة لها مغزى)[٧]، ويذكر (المِشَّ) في مقال (الشيوعية على المصطبة)[٨] .

---

(١) العدد ٣٤١ بتاريخ ١٩٢٨/٢/١٤م.
(٢) العدد ٨٠٠ بتاريخ ١٩٤٨/١١/١م.
(٣) العدد ٣١٤ بتاريخ ١٩٣٩/٧/١٠م.
(٤) العدد٩٤ بتاريخ ١٩٣٥/٤/٢٢م.
(٥) العدد ١٥١ بتاريخ ١٩٣٦/٥/٢٥م.
(٦) العدد ١٥١ بتاريخ ١٩٣٦/٥/٢٥م.
(٧) العدد ٨٠٠ بتاريخ ١٩٤٨/١١/١م.
(٨) العدد ٨٧٣ بتاريخ ١٩٥٠/٣/٢٧م.

الثاني: في الحقبة التي عاش فيها الزيات كانت النهضة الحديثة قد قطعت شوطًا كبيرًا، وبدأت الصناعات تأخذ مكانها في حياة الناس، وتسربت بعض الاتجاهات الفكرية المستحدثة إلى المجتمع، ووفدت ثقافات أجنبية مختلفة، وكان من أثار ذلك أن بدأ الشعراء والكتاب يتكلمون عن تلك الأمور المستحدثة، فتارة يصفونها وأخرى يشبهون بها، وقد أورد الزيات في عباراته الساخرة جملة من هذه الألفاظ التي تعبر عن تأثره بتلك الأمور التي تشمل الصناعات والتوجهات وأماكن الالتقاء والأمراض، وغير ذلك ، فيذكر (الكهرباء) في مقال (إلى الأقصر)[١]، ويذكر(الشيوعية) في مقال (جمعية نهضة القرى)[٢]، و(بعوض الملاريا) في مقال (أكل هذا يصنع البرلمان)[٣] ، ويذكر كلمة(مرفود) بمعناها العامي في مقال(لو كنا نقرأ)[٤]، ويذكر كلمة (باشا) مرةً في مقال(أكل هذا يصنع البرلمان)، ثم مرتين في مقال(لوكنا نقرأ)، ثم مرة في مقال (الصيام بين عهدين)[٥]، ثم مرة في مقال (من فكاهات العهد التركي)[٦]، ومرة في مقال (من مخلفات الحرب هذا الطبلاوي أفندي)[٧]، ويذكر (رقاص الساعة) في مقال (الصيام بين عهدين)[٨]، ويذكر (الغليون) في مقال (من فكاهات العهد التركي)، ويذكر تمثال (أبي الهول) في مقال (من فكاهات العهد التركي)، ويذكر (الكرة الأرضية) في مقال (أسرة طيبة)، ويذكر(طربوش) في مقال (أسرة طيبة)، ويذكر(جريدة الوطن) في مقال (أسرة طيبة)[٩]، ويذكر (الترام) في مقال (من عجائب

---

(١) العدد ٣٠ بتاريخ ١٩٣٤/١/٢٩م.
(٢) العدد٩٤ بتاريخ ١٩٣٥/٤/٢٢م.
(٣) العدد ١٥١ بتاريخ ١٩٣٦/٥/٢٥م.
(٤) العدد ١٨٨ بتاريخ ١٩٣٧/٣/٨م.
(٥) العدد ١٩٩ بتاريخ ١٩٣٨/١/٩م.
(٦) العدد ٣١٤ بتاريخ ١٩٣٩/٧/١٠م.
(٧) العدد ٦٧٦ بتاريخ ١٩٤٦/٦/١٧م.
(٨) العدد ١٩٩ بتاريخ ١٩٣٨/١/٩م.
(٩) العدد ٨٠٢ بتاريخ ١٩٤٨/١١/١٥م.

الناس)، و(الكمساري) في مقال (من عجائب الناس) ، و(التَّذْكَرة) في مقال (من عجائب الناس)[1]، و(القبعة) في مقال (مثل المهذبين من بني آدم)[2]، و(الدائرة) و(والانتخابات) في مقال (الشيوعية على المصطبة)[3].

الثالث: تتضح الدقة المتناهية للزيات في تنويع الألفاظ حسب اختلاف المجتمع الذي يتحدث عنه ، فعند حديثه عن أهل القرية البسطاء يختار الزيات الألفاظ التي تدل على الوضع السيء وحياة الكد التي يعيشها غالب مجتمع تلك الحقبة من فقر وجهل ومرض ؛ وهو يهدف من وراء ذلك إلى تسليط الضوء على تلك المعاناة وإيصال شكواهم إلى الطبقة المثقفة الحاكمة ، ففوانيسهم مرة (شاحبة) وأخرى (خافتة) كما في مقال(عيد الأضحى)[4]، ورفيقهم في حياتهم مرض (الملاريا) كما في مقال (أكل هذا يصنع البرلمان) [5]، وهم (المُعْوِزِين) في مقال (لو كنا نقرأ)[6]، وشابُّهُم هو (الهرِم) في مقال (من عجائب الناس)[7] ، ومشاق الحياة تجعل حليمَهم(طائش الحلم) في مقال (فكاهة لها مغزى) ، ونومهم وصحوهم بين (سماد الزبل والسرجين) في مقال (فكاهة لها مغزى)[8]، أما عند الحديث عن الأغنياء فإنه يختار من الألفاظ ما يدل على الثراء المجاني الدي يعيشونه، والنزق والغباء الذي تفرزه البطالة؛ وهو يهدف من وراء ذلك إلى تسليط الضوء على الطبقية القبيحة،

---

(١) العدد ٤٨٢ بتاريخ ٢٨ /٩ /١٩٤٢م.
(٢) العدد ٨٠٤ بتاريخ ١٩٤٨/١١/٢٩م.
(٣) العدد ٨٧٣ بتاريخ ١٩٥٠/٣/٢٧م.
(٤) العدد ٣٨ بتاريخ ١٩٤٣/٣/٢٦م.
(٥) العدد ١٥١ بتاريخ ١٩٣٦/٥/٢٥م.
(٦) العدد ١٨٨ بتاريخ ١٩٣٧/٣/٨م.
(٧) العدد ٤٨٢ بتاريخ ٢٨ /٩ /١٩٤٢م.
(٨) العدد ٨٠٠ بتاريخ ١٩٤٨/١١/١م.

والتباين الفج، والمال المكتَسب من عرق البسطاء الذي يلقيه هؤلاء الأثرياء في مزابل بطونهم بينما لا يجد الفقراء ما يقتاتونه، فينسب أحدَ الأغنياء – عملًا وقرابة– إلى قارون في جبروته وسفهه ، فيصفه بـ(القاروني) في مقال (لو كنا نقرا)[١]، والثري الآخر هو (البطين) في مقال (الصيام بين عهدين)، والباشا(رقاص الساعة) في مقال (الصيام بين عهدين)[٢]، و(الهانم)(كومة عالية من اللحم والشحم) في مقال (حول مشكلة الزواج)[٣]، وباشا آخر عبارة عن (كرة أرضية من الخشب) في مقال (أسرة طيبة)[٤]، والنائب (جرة فارغة) في مقال (الشيوعية على المصطبة)[٥]، والثري الفلاني غبي لدرجة أنه يطلب من الطبيب (فيتامين باشا) في مقال (من مخلفات الحرب هذا الطبلاوي أفندي)[٦].

الرابع: إكثاره من الألفاظ الفصيحة الجزلة، والتي تحتاج لمعرفة معناها إلى مطالعة معجمات اللغة، ولعل في ذلك ما يشير إلى أمور ثلاثة، أولها أنها إشارة إلى ميل الزيات نحو مدرسة بعث وإحياء القديم من أدب وشعر، يظهر ذلك جليًّا من إشادته في مقالاته في مجلة الرسالة غير مرة بشعر حافظ وشوقي اللذين يمثلان مدرسة الإحياء ، وثانيهما رغبة الزيات في إبراز براعته، والتنويه بثقافته، وذلك أمر مقبول من الأديب ما لم يتجاوز الحد، وثالثهما رغبة الزيات في إعادة بعْث هذه الألفاظ وإحيائها، لا سيما في عصر كثر فيه استعمال الألفاظ العامية في الأدب – نثره وشعره – بدلًا من الألفاظ العربية الفصيحة.

---

(١) العدد ١٨٨ بتاريخ ١٩٣٧/٣/٨م.
(٢) العدد ٦٧٦ بتاريخ ١٩٤٦/٦/١٧م.
(٣) العدد ٤١٤ بتاريخ ١٩٤١/٦/٩م.
(٤) العدد ٨٠٢ بتاريخ ١٩٤٨/١١/١٥م.
(٥) العدد ٨٧٣ بتاريخ ١٩٥٠/٣/٢٧م.
(٦) العدد ٦٧٦ بتاريخ ١٩٤٦/٦/١٧م.

فيذكر (حُمَيًّا) في حديثه الساخر عن الولي المزيف في مقال (من فكاهات العهد التركي)[١] فيقول:" وأدركتْنَا حميا الولاية" والكلمة تعني فَوَرَان الأمر وثَوْرَته[٢]، ليصور ما وصل إليه ذلك الولي الدعي من ادعاء زيادة الخشوع وسطوة سكرة الوجد ليخدع البسطاء من الناس، وقد أدت الكلمة المعنى أداءً تامًا مع جزالة اللفظ وقوته ، ويذكر (مَهِيض) في مقال (من فكاهات العهد التركي) فيقول:" نَظَرَ الديكِ المهيض إلى الديك المنتوف" والكلمة تعني مكسور[٣]، حيث يصور تفاعلَه مع الولي المزيف في حميا الولاية والدحرجة الخاشعة التي فاقت الحد حتى أصابه الكسر دون أن يشعر بذلك!!!، واللفظ مع حسن دلالته على المعنى تجد فيه الفصاحة والرصانة والقوة، ثم يذكر (شَمُوس) في وصف خادم المسجد عبد الجبار في مقال (فكاهة لها مغزى)[٤]، والكلمة تعني النافر الذي لا يستقر لِشَغَبِه وحِدَّته، فأَجْبَرَنا أن نتصور عبد الحبار في صورة الشخص النزق الطائش الغضوب، وبعد أن رسمْنا لعبد الجبار هذه الصورة انتقل الزيات إلى رسم صورةٍ لجحشته، فذكر أنها الجحشة (الرَّيِّضَة) والتي تعني الدابة التي لا تقبل الرّياضة والتهذيب، وَلم تذِلَّ لراكبِها ليصرّفها كَيفَ يَشَاء، فزاد في تمكن صفة الرعونة والحدة والطيش من الراكب والمركوب ، فاللفظان يجمعان بين الجزالة والقوة مع وقوعهما موقعهما المناسب، ولا زلنا مع عبد الجبار خادم المسجد الذي اصطدم في مدخل ضيق مع راكبي حمارين آخرين، وما كان ذلك الاصطدام ليحدث لولا أن خُرْجَ عبد الجبار (أَبْجَر) والتي تعني أنه عظيم البطن منتفخ ، فصور

---

(١) العدد ٣١٤ بتاريخ ١٠/٧/١٩٣٩م.

(٢) ينظر: التقفية في اللغة، أبو بشر، اليمان بن أبي اليمان البَندنيجي، تحقيق: د. خليل إبراهيم العطية، ص١١٠، ط: وزارة الأوقاف، الجمهورية العراقية – مطبعة العاني – بغداد ١٩٧٦ م.

(٣) تاج العروس، محمد بن محمد الحسيني، مرتضى الزبيدي مادة: هيض ١٠/١٨٠ ط: دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

(٤) العدد ٨٠٠ بتاريخ ١/١١/١٩٤٨م.

لنا اللفظُ المتسببَ في مشهد الاصطدام بجلاء ورصانة ، وفي مقال (الصيام بين عهدين)[١] يتحدث الزيات عن صوم الباشا البطين وهو يروح ويجيء نحو المطبخ انتظارًا للفطر فيقول:" يتذبذب وَئِيدًا" والتي تعني أنه يمشي في تَؤَدةٍ وثقل[٢]، ليصور بلفظ جزل مشهد كراهة الحركة بما فيها من الثقل والكسل والتخمة والبدانة ، فكأنه لثقله يتدحرج دحرجة جيئة وذهابًا.

ـــــ العبارات والتراكيب :

إن الصياغة القوية تعني اختيار ألفاظٍ دالّة وعبارات معبرة ، ثم إيجاد علاقةٍ وتَوَاؤُمٍ بين الألفاظ والمعاني، وهو ما يُعَبَّر عنه بحسن التأليف ، ولأهمية الألفاظ والعبارات نرى بعض النقاد يعد الألفاظ وتراكيبها من أهم عناصر الصياغة؛ لأن الألفاظ وصورتها ودلالتها وتآلفها كاف لإبداع الكلام[٣].

فالكاتب المجيد مطلوب منه تحسين نظم العبارات وجعلها سليمة من اللحن والخطأ، ومما قد يعتري التأليف من جَنَف، وإيرادها صافيةً رائقة[٤]، كما ينبغي أن تختلف ألفاظُه وعباراته وتتنوع تبعًا لاختلاف الغرض الذي يسوقه، مع مراعاة الدقة والإحكام والوضوح والتلاحم بين الألفاظ والمعاني.

---

(١) ٦٧٦ بتاريخ ١٩٤٦/٦/١٧م.

(٢) ينظر: معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي،١٨٦/٤ تحقيق الدكتور أحمد مختار عمر، مراجعة الدكتور إبراهيم أنيس، ط : مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

(٣) ينظر: الشعر المعاصر في ضوء النقد الحديث، أ / مصطفى السحرتي ، صـ ٧٥ ، طـ: مطبعة المقتطف والمقطم ـ القاهرة ١٩٤٨ م .

(٤) ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب د / إحسان عباس ، صـ ٤٠٣ ، طـ : دار الثقافة . بيروت ـ الطبعة الرابعة.

ويحدثنا أبو هلال العسكري عن الصياغة فيقول:" أجود الكلام ما يكون جزلًا سهلًا، لا ينغلق معناه، ولا يستَبْهِمُ مغزاه، ولا يكون مكدودًا مستكرهًا، ولا متوعرًا متقعرًا، ويكون بريئًا من الغثاثة، عاريًا من الرثاثة، والكلام إذا كان لفظه غثًا، ومعرضه رثًا، كان مردودًا ولو احتوى على أَجَلِّ معنىً وأرفعه وأنبله ..... "[1].

وبالنظر إلى النصوص الواردة سلفًا نلحظ أن بناء الجملة عند الزيات لا يتجاوز النسق والترتيب اللغوي المعتاد ، فنادرًا ما يجنح إلى التقديم أو التأخير في المكونات إلا إذا اقتضت البلاغة ذلك ، ومن خلال دراسة الأسلوب الساخر للزيات طبقًا للمقاييس التي ذكرها أبو هلال وغيره يمكن أن نُجْمِلِ ما تمتاز به عباراته وتراكيبه فيما يأتي :

(أ) ـ التعبير المحكم :

وذلك كثير جدًّا في التعبيرات الساخرة عند الزيات، حتى كاد أدبُه كله يكون تعبيرات محكمة ، فمن ذلك قوله عن قطار رحلته إلى الأقصر: "هذا القفص الطائر"[2] فتلك العبارة العجيبة المحكمة تَنَزَّلت على المعنى المقصود فجعلته كالشمس بيانًا؛ فكون القطار قفصًا يعني أنهم محبوسون لا مفر لهم ولا ملجأ إلا إكمال الرحلة على هذا الحال البائس المرهِق، وكونه قفصًا أيضًا يفيد أنه قطار مليء بالثقوب والفتحات، وتلك طبيعة قطارات الفقراء حتى يومنا هذا، وذلك يقتضي معاناتهم من البرد والغبار، يشاركون أهل تلك البلدان مناخهم ودخانهم وترابهم وروائح مواشيهم وطيورهم بمجرد المرور عليهم، ويزداد الوضع سوءًا، ويزداد المشهد سخرية إذا عرفنا أنهم مع كونهم

---

(١) الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، ص٦٧، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط: المكتبة العصرية – بيروت ١٤١٩ هـ .

(٢) من مقال إلى الأقصر العدد ٣٠ بتاريخ ١٩٣٤/١/٢٩م.

محبوسين ومع كون قطارهم يشبه القفص المثقوب نجد أن القطار غاية في السرعة وكأنه يطير طيرانًا لا أنه يمشي على القضبان، مما يزيد في معاناتهم.

وفي مقال (عيد الأضحى)[١] يقول عن البسطاء الذين يحملون ما خبزوه من كعك إلى المقابر لتوزيعه على القُرَّاء: " ثم يعودون وقد كفاهم (الفقهاء) مؤونة ما حملوا"، فكَوْن الكعك (مؤونة) يعني شدة الكلفة التي تفيد أنهم قد أسرفوا حتى أجحفوا على جيوبهم، ونظفوا خزائنهم، ولم يقنعوا حتى أفلسوا.

وفي المقال نفسه يقول الزيات عن الفوانيس التي يحملها هؤلاء البسطاء: " الفوانيس الخافتة"، فتلك العبارة ترسم في دقة عجيبة ما يعانيه هؤلاء من فقر مُدْقِع دفعهم إلى خفض ضوءِ الفانوس حتى لا يستهلك الزيت في سرعة، وهم لا يملكون من المال ما يشترون به غيره، فصارت فوانيسُهم خافتةً كخفوت ضوء عيونهم بسبب ما يعانونه من فقر وبؤس.

ويرى الزيات أن مخاطبة (الباشا) بالتي هي أحسن لا تجدي نفعًا، بل إن التي هي أحسن لا تساوي (عجلًا في دوار الباشا)[٢]، ولا يمكن الإحاطة بإحكام ذلك التعبير إلا بالنظر في العاقبة؛ فعاقبة العجل الذبح والأكل ثم يقذفه (الباشا) إلى مصيره القذر الممتهَن في الكنيف، وهو المصير نفسه لـ(التي هي أحسن)، فإن (الباشا) يمتهن هذه الكلمة، ولا يعرف لها قيمة، ومصيرها عنده لا يقل مهانة عن مصير العجل.

ويتحدث الزيات عن إهدائه نسخة من مجلة الرسالة إلى أحد (الباشاوات) لوجود علاقة صداقة بين ذلك (الباشا) وبين أحد أصدقاء الزيات، ولكن (الباشا) يبدو أنه لا يثيره ذلك النوع من الهدايا ، فرد الهدية، يقول الزيات : " فرَدَّها عَلَيّ"[٣]، وذلك تعبير

---

(١) العدد ٣٨ بتاريخ ١٩٤٣/٣/٢٦م.

(٢) من مقال أكل هذا يصنع البرلمان العدد ١٥١ بتاريخ ١٩٣٦/٥/٢٥م.

(٣) من مقال لو كنا نقرأ العدد ١٨٨ بتاريخ ١٩٣٧/٣/٨م.

محكم أيّما إحكام ؛ فالزيات لم يقل (فردها إلي)، وإنما قال (علَيّ)، ليشير إلى أن الردَّ رَدُّ عدمِ رضًا وعدم قبول ، فهو ردُّ رفضٍ واستهانة وعنف ، فأدت الجملة ذلك المعنى في أتم صورة.

ويعبر عن بطش مأمور الشرطة الذي يضرب الناس بسوطه جيئة وذهابًا، ويذْكُر ندمَه إذا عاد دون أن تتاح له فرصة الضرب فيقول:" عاد خائبَ السوط"[1]، حيث حَوَّلَ الزياتُ السوط إلى كائن حي يحتاج إلى الطعام والشراب ليعيش ، وما طعامه وشرابه إلا الضرب والجلد الذي يذيقه ظهور العباد، فإذا لم يجد ما يَطْعَمُه عاد كَاسِفَ الوجه خائبًا لفوات مقصوده.

(ب) ـ الإيحاء بالفكرة :

يراد من الأديب بصفة عامة أن يُكَوِّن من لفظه ومعناه شيئًا جميلًا، سواء أكان بالإيحاء أم بالوضوح، فليس مطلوبًا منه التزام شكل معين، فإنَّ فكرةً ما قد تبدو في أبهى حلة إذا سلك الشاعر في إبرازها السبيل المباشر الواضح، وأخرى قد تبدو أروع وأبدع إذا جنح الشاعر فيها إلى الإيحاء، ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن لجوء الشاعر إلى الإيحاء قد يكون لأسباب عدة غير إرادة الجمال والبيان، فقد يلجأ الشاعر إلى الإيحاء بفكرته لخوفه من التصريح بها، أو لخجله، أو للسخرية، أو للتعمية على السامع، ولا سيما إنْ كانت ألفاظُه تحتمل أكثر من معنى.

كما ينبغي التنبيه إلى أن إدراك مقصود المتكلم – فيما يتعلق بالإيحاء – ليس من السهولة بمكان ، فذلك يحتاج إلى إعمال فكر وإلى الإحاطة بالظروف النفسية للمتكلم، مع الإلمام بالجو العام للنص، ومعرفةُ المعنى المقصود في هذه الحالة تعتمد أكثر ما تعتمد على الاستنباط لا على الفهم المباشر.

---

(١) من مقال من صور الماضي العدد ١٥١ بتاريخ ١٩٣٦/٥/٢٥م.

وقد لجأ الزيات إلى تلك الطريقة كثيرًا، حيث سخّر الإيحاء ليصل به إلى أبعد حد في السخرية، فوجدنا كثيرًا من عباراته ينبعث منها ضوء بعيد يظل يلح على المعنى حتى يبرزه رغم خفائه في أول الأمر، فمن ذلك قوله عن أحد الباشاوات: " الباشا القاروني"(١)، فالمعنى الظاهر هو الثراء الفاحش المُحَاكي لثراء قارون، ولكن الزيات يلمح إلى أبعد من هذا، إنه يلمح إلى الصفات الأخرى لقارون، ككُفران النعمة وجحودها والصلف والغرور وازدراء العباد، فجَمَع الزيات لهذا الباشا بهذا التلميح أشنع الصفات وأبشعها.

ثم لما أهدى الزيات نسخة من الرسالة لأحد معارف صديقه ردها عليه وكتب عليها (مرفود) وكانت الكتابة كما يقول الزيات :"بالقلم الغليظ"(٢)، والزيات يلمح بعبارته هذه إلى أن الباشا قد قصد أن يقرأ عبارَتَه كلُّ قارئ، وأن يراها كلُّ ناظر، فلم يكتف بمجرد الكتابة ، وإنما كتب بالقلم(الغليظ)، فأوحى لنا ذلك بالرفض القاطع عن قناعة، والازدراء المُصَرّ عليه دون تردد ، فكانت هذه العبارة هي الترجمة الواقعية لهذه المشاعر من الباشا ،لتكون الكتابة بالقلم الغليظ أوضح لرسالته، وأفهم لمقصوده.

وعمن يسلك مسلك التصوف من طريق الخزعبلات والتَّجَنُّن لا من طريق الذكر والزهد يتحدث الزيات واصفًا مشهد دخوله مع الباشا في نوبةٍ من سَكْرة التجلي والخشوع الساخر فيقول:" فقرعتُ غليونه بغليوني"(٣)، فالعبارة توحي بنفاقٍ وتَصَنُّع مَن يسلك ذلك المسلك، فكأنَّ قرع الغليون إشارة لبدء تلك المسرحية الهزلية التي

---

(١) من مقال لو كنا نقرأ العدد ١٨٨ بتاريخ ١٩٣٧/٣/٨م.

(٢) من مقال لو كنا نقرأ العدد ١٨٨ بتاريخ ١٩٣٧/٣/٨م.

(٣) من مقال من فكاهات العهد التركي العدد ٣١٤ بتاريخ ١٩٣٩/٧/١٠م.

يخدع بها العامة ، كما أن فيها تلميحًا بتشبيه هؤلاء بالحيوانات ، فهما كأنهما كبشين قد نطح أحدهما الآخر بقرنه فثار الآخر وبدأ النطاح.

وهي الفكرة نفسها التي يوحي الزيات بها إلينا وهو يصف في سخرية مشهدًا من مشاهد التصوف الكاذب المسيء للمسلك المعتدل لأهل التصوف ، فيقول عن مشهد خداع البسطاء بإظهار سكرة الخشوع : "وأخذنا نتدحرج على البساط، فمرةً أكون فوقه، ومرة يكون فوقي"[1]، فهو مشهد يبرز الصورة المرتسمة في أذهان العامة لبلوغ الغاية في الخشوع والوجد، تلك الصورة التي بدلًا من استدعائها البكاء والتأثر تستدعي التشنج والجنون ، وبدلًا من أن تملأ الجو بالرُّوحانية والإيمان تملؤه بالتراب الناشئ من التدحرج على الأرض.

وأما راكب (الترام) ذلك المُدَّعي المشيخة فقد أَلْجَأَه (الكمساري) إلى سَمِّ الخِيَاط وألح عليه في طلب ثمن (التذكرة) ، فلم يجد بدًّا من الالتفات إلى الكمساري وقال" في هيئة المفجوء "[2]، فالعبارة توحي بالتمويه والادعاء الذي أصبح سمةً لهؤلاء، فلم يقل الزيات إنه قد فوجئ فعلًا، وإنما قال : "في هيئة المفجوء"، وكأنه يستدعي هذه الهيئة استدعاءً، ويجبرها جبرًا، ويصطنعها ليكمل بها مشهد الخداع.

(ج) ـ التعبير الموجز:

لقد عنّي أهل الأدب منذ القدم بالإيجاز، وقديمًا قيل: " البلاغة الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خَطَل "[3]، ويقول الزيات: " مِلاكُ الإيجاز غزارة المعاني

---

(١) من مقال من فكاهات العهد التركي العدد ٣١٤ بتاريخ ١٠/٧/١٩٣٩م.

(٢) من مقال من عجائب الناس العدد ٤٨٢ بتاريخ ٢٨ /٩ /١٩٤٢م.

(٣) الصناعتين ص١٩٠.

ووضوحها في الذهن، وطواعية الألفاظ ومرونتها في اللسان "[١]، فكان مدار تفضيل مُنْشِئِ كلامٍ على غيره مرتبطًا بقدرته على استيفاء المعنى المراد بأوجز لفظ، ولكن يَحْسُن بالمنشئ أن يحرص على ألا يكون كلامُه شديدَ الكثافة، تتزاحم فيه المعاني في صورة تُصَعِّبُ الفهم، فلا يفهمه من المتلقين إلا من أوتي القدرة على تفتيته وتفريقه، وذلك عزيز؛ " لأنه يحتاج إلى ملكه وذهن حاضر، ثم إلى تدريب وممارسة طويلة"[٢] لمثل هذه التعبيرات الموجزة، وعلى ذلك فالمنشئ المقتدر هو من نجح في تكثيف معانيه دون تقصير عن أداء المعنى أو إغلاق أو إبهام ربما وصل إلى درجة الرمز الذي قلّما يجتمع مع الاستساغة والسهولة في كلام.

وبالنظر في الأسلوب الساخر للزيات نجد أن الإيجاز من أبرز ما امتاز به، فأسلوب الزيات ميدان فسيح للتعبيرات الفصيحة الموجزة، تعبيرات حوت المعاني الكثيرة ، واستُغنِي بها عن ألفاظ كثيرة ، فمن ذلك وصفه لاجتماع الفلاحين وسَمَرهم على (المصطبة) بقوله : " كشقشقة العصافير في الشجرة "[٣]، فتلك العبارة الموجزة تحوي معاني عديدة ، فتصويرهم بتلك الحالة يعني أن اجتماعهم يشمل علو الصوت، والاضطراب، والتداخل، والعشوائية، وعدم إنصات أحد إلى أحد، وعدم وجود نتيجة ، وذلك كله يمكن للمتلقي أن يفهمه من هذه العبارة المكثفة.

ومن ذلك قوله عن خادم المسجد عبد الجبار وقد لاقى في طريقه حمارين فأراد أن يمر بينهما :"فاقتَحَمَ العقبة"[٤] ، فتلك العبارة الساخرة الموجزة تجبر المتلقي على

---

(١) دفاع عن البلاغة، أحمد حسن الزيات ص٩١ ط : دار ابن حزم، بيروت ، لبنان.

(٢) البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي ٥٦٨/٢ ، ط : دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

(٣) من مقال في القرية ـ من أحاديث العيد ، العدد ٣٤١ بتاريخ ١٩٣٨/٢/١٤م.

(٤) من مقال فكاهة لها مغزى العدد ٨٠٠ بتاريخ ١٩٤٨/١١/١م.

اليقين بغباء هذا الرجل وحمقه ، فكَوْن الطريق بين الحمارين (عقبة) فذلك يعني أنه ممر ضيق، ثم يزيد الزيات من قناعة المتلقي بصفات هذا الرجل بقوله (اقتحم)، فرغم كون الممر ضيقًا جدًّا إلا أنه قد قرر أن يجبر نفسه على المرور فيه، فكابر وعاند واقتحم ما لا يُقْتَحَم، فكانت النتيجة ما سلف ذكره من حادث الاصطدام الساخر.

ويصف الزيات بإيجاز بديع الجَشْأَةَ التي أطلقها عبد الواحد بقوله: " طويلة عريضة "[1]، فطويلة تعني استمرارها، وأما عريضة فإنها تحوي معنى ساخر لطيف، فهي تعني أنها لشدة اندفاعها من فمه قد غطت مساحة جغرافية واسعة حوله، مما يعني أن كلَّ مَن في المجلس قد نال حظه من تلك الجشأة وريحها النتن.

وفي رحلته إلى الأقصر يبدع الزيات في الإيجاز حين تحدث عما يعانيه في تلك الرحلة من مشاق رَصَّعَها بقوله: " وأنا وحدي"[2]؛ فالمصيبة إن عمت هانت، ولا يكون الخطب خطبًا مُرًّا إلا بالانفراد والوحدة، والزيات لم يكن وحيدًا حقيقةً، وإنما كان وحيدًا فِكرًا وشعورًا، فالخطوب التي يعانيها هي عند غيره عادة، والقطار الذي يشكو قبحَه هو عند غيره نزهة ، والنوم الذي يطلبه فلا يجده هو عند غيره بالمكيال، فالناس بين نائم وَلَاهٍ، ولو كان له رفيقُ فكرٍ لهانت الخطوب ، ولكنه وحيد وسط الزحام، فازدادت المعاناة، كل هذه المعاني عبرت عنها تلك الكلمة الموجزة (وحدي).

ويبدع الزيات وهو يصف خروج أهل القرية بعد مغرب ليلة العيد إلى المقابر لزيارة الموتى فيقول : "طريق المقبرة يسيل بالفوانيس"[3] ، فتلك العبارة الموجزة تعني أنها عادة ترسخت عند أهل القرية جميعًا ، فاستجابوا لها جميعًا، وخرجوا في وقت واحد

---

(١) من مقال قصة عراقية، العدد ٣٨ بتاريخ ٣٦ /٣/ ١٩٤٣م.

(٢) من مقال إلى الأقصر العدد ٣٠ بتاريخ ١٩٣٤/١/٢٩م.

(٣) من مقال عيد الأضحى العدد ٣٨ بتاريخ ١٩٤٣/٣/٢٦م.

جميعًا، فسيلان الطريق يعني الازدحام والتدافع في وقت واحد واتجاه واحد، وذلك يقتضي أن أنه لم يبق أحد من أهل القرية إلا وأُشْرِبَ تلك العادة واستجاب لها.

ويصور الزيات حقارة شأن البسطاء في نظر علية القوم فيقول: " الناس كبعوض الملاريا"[١]، فبهذه العبارة الموجزة رسم الزيات للمتلقي تلك النظر (الأرستقراطية) الدونية التي يرى بها (الباشاوات) بسطاءَ الناس، ضررٌ دون نفع، ودَوِيٌّ كثير دون فائدة، لا يُفْقَدُون إذا ماتوا ، موتُهم يريح الآذان ، وحياتهم تَقُضُّ المضاجع، كل هذه المعاني صورها الزيات بتصوير البسطاء في صورة بعوض الملاريا الذي لا راحة منه إلا بالسُّم.

ـــ الصورة:

يمكن القول: إن الصورة التي يرسمها المنشئُ لها الفضل الأكبر في تمكين المعاني _ تقليدية أو جديدة _ في نفوس المتلقين ، فابن رشيق يرى أن الكلام الذي يحتوي على الخيال أروع وأحسن موقعًا في القلوب والأسماع[٢]، وأقرب ما يمكن قوله عن الصورة إنها الهيئة التي تثيرها الكلمات في ذهن المتلقي، ومن الأهمية بمكان معرفة أن الصورة تختلف نتائجها وهيآتها التي تفرزها تبعًا لاختلاف ثقافة المتلقي، فقد نجد أن الصورة في كلام ما تثير في نفسٍ هيئةً معينة وأمورًا محددة، بينما تثير في نفسٍ أخرى هيئة جديدة تُخرج لنا صورة أخرى من الكلام نفسه.

---

(١) من مقال أكل هذا يصنع البرلمان العدد ١٥١ بتاريخ ١٩٣٦/٥/٢٥م.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ٢٣٦/١، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط : دار الجيل، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م.

والحق أن للصورة دورًا مهمًّا في بناء الكلام؛ إذ أنها تبقى أداتُه الأولى والأساس، تفرق عصرًا عن عصر، وتيارًا عن تيار، ومتكلمًا عن متكلم، فتظهرُ أصالته، وتدل على قيمة أدبه، وترمز إلى عبقريته وشخصيته، بل وتحمل خصوصيته الفردية [١].

وقد زخر الأدب الساخر للزيات بالصور الفنية، فكان لها أكبر الأثر في عرض الأفكار وقوة التأثير في المتلقي، وقد تعددت مصادر الصورة عنده ؛ فهو يستمد صوره من القرآن الكريم والسنة النبوية والتراث العربي، كما أنه يفيد من العلوم الحديثة والآداب الأجنبية ، ولا ننسى أهم رافد لصوره، وهو البيئة التي عاش فيها الزيات فانطبعت على صفحة أدبه بحلوها ومرها ، بل إن المدقق في الصور التي تَرِد في أدب الزيات يمكنه بسهولة أن يرى ملامح نفسيته بجلاء .

ومن خلال تصفح ما أورده الزيات من تعبيرات ساخرة يمكن القول إن غالب صُوَرِه صور جزئية، فقد أكثر منها وتفنن فيها ، فترى في كلامه ألوان الخيال المعتمدة على تشبيهٍ أو استعارةٍ أو كناية، وكلها تمثل عنصرًا مهمًّا في الصورة.

(أ) التشبيه:

يزداد التشبيه دقةً وسحرًا إذا جاء في الهيئات التي تقع عليها الحركات[٢]، والمنشئ الماهر هو الذي ينجح في التوسل بالتشبيه لإيجاد صلة بين الواقع وبين إنشائه ، فمن ذلك قوله في وصف بَدَانة رِجْلَي إحدى بنات علية القوم: " قوائمُ فيلٍ أو أساطينُ هيكل!"[٣]، فالزيات يشبه رجلي هذه الفتاة برجلي الفيل أو أعمدة الهيكل

---

(١) ينظر: الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي، د / علي الغريب ، ص ٩ ، ط : مكتبة الآداب ـ القاهرة .

(٢) ينظر: أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني صـ ١٦٤، تحقيق : عبدالسلام هارون ، ط : دار السيرة ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثالثة ١٩٨٣ م .

(٣) من مقال حول مشكلة الزواج العدد ٤١٤ بتاريخ ١٩٤١/٦/٩م.

في الضخامة، وهو بهذه التشبيه يلح على الصورة التي طالما رسمها في مقالاته لعلية القوم، بطالة ونهم وشَرَه وسَرَف دون حركة ، وذلك كله يفضي إلى بدانة مضحكة وترهل يثير السخرية، زد على ذلك ما يفيده التشبيه بالفيل من إلحاقه الفتاة بالحيوانات، وما يفيده التشبيه بأساطين الهيكل من إلحاقه إياها بالجمادات، ولا يملك المتلقي إلا أن يساير الزيات في تصور تلك الصورة التي لم تكن لتبدو جلية دون معونة التشبيه.

ويستمر الزيات في رسم الصورة المضحكة القبيحة لبعض (الباشاوات) فيقول في المقال نفسه عن رأس إحدى بنات الباشا:" رأس كرأس أبي الهول"، ويكفي المتلقي أن يقرأ ذلك التشبيه لتتمثل أمامه الصورة التي أراد الزيات رسمها ؛ فتشبيه رأسها برأس أبي الهول يجمع لرأسها أوصافًا ثلاثة لا مفر منها ، الضخامة المؤذية للعين ، والقبح المنفر للخاطر ، والجمود المستلزم للغباء ، فهي صخر ضخم قبيح ، وجميع هذه التفصيلات التي تحويها الصورة أبرزها التشبيه في سخرية واضحة.

وعن نائب البرلمان الذي انتخبه البسطاء من أبناء القرية ليعينهم على نوائب الدهر فإذا به لا ينفع ولا يضر يقول الزيات: " كالجرة الفارغة"[(١)]، حيث يجمع ذلك التشبيه للنائب صفات الجمود والخواء والنهم ، فهو جامد كجمود الجرة التي لا تعقل ولا تملك من أمرها شيئًا ، وخاوٍ من الخير كله والمعرفة كلها كخواء الجرة الفارغة، ونهم جَشِعٌ بَطِين كبِطْنَة الجرة ذات الكرش الواسع ، فكانت الصورة النهائية لهذا الرجل شرًّا محضًا لا نفع فيه.

ويتحدث الزيات عمن أساءوا إلى سمعة أهل التصوف وفهموه على غير حقيقته فقلبوه سخرية وتجننًا، فيقول عمن أدركتهما حميا الولاية وسكرة الخشوع والوجد

(١) من مقال الشيوعية على المصطبة العدد ٨٧٣ بتاريخ ١٩٥٠/٣/٢٧م.

فجعلا يتدحرجان ويتمرغان في التراب : " وكلانا ينظر إلى صاحبه نظر الديك المنتوف إلى الديك المهيض"[1]، فالزيات يقود المتلقي إلى الإقرار بما يريد إثباته لهؤلاء من صفات النزق والخفة وقلة العقل وسوء الفهم ، حيث جعل – بتشبيهه البليغ – كليهما ديكًا ، حيث نقلهما من جنس الإنسان إلى جنس الحيوان ، فأنزل عليهما صفات الديكة ، فهما كالديكة يستجيبان للتحريش، ويتعاركان على حبة، يؤذي كل منها صاحبة ونفسه دون أن يدري، والطامة أن هذين الشخصين يظنان أن ذلك درب من دروب الولاية، ونهج لأهل الله.

ويصف الزيات تطلعات أهل القرية التي تختلف عن تطلعات غيرهم ، فهدفهم مجرد الحياة لا الرفاهية، وحديثهم إنما يخرج من نفس مكدودة لا من نفس راغبة في النزهة والتريض ، فيقول:" وللريف شعراء كعصافير الحصاد"[2]، وتتجلى براعة التشبيه في النظر إلى طبيعة الحياة التي يعيشها كلُّ قائل ، فشاعرٌ يعيش عيشَ النعيم فيقصد بشعره وصفَ الرياض ووصف السَّمَر والتغزل في الحسان وغير ذلك، وشاعر – كشعراء القرية – يعيش عيش الكد، فيقصد بأشعاره من يطعمه لقمةً من ذوي الجاه والمنصب من (الباشاوات) وغيرهم، وذلك هو حال عصافير الحصاد، لا تغرد للطبيعة والجمال بل للحَبِّ والطعام.

(ب) الاستعارة :

إن الصورة الاستعارية تهتم بالنفاذ إلى روح الأشياء ولبها ، فهي تهتم بالجواهر لا بالأعراض ، ولذا فإن وظيفة الاستعارة هي إدراك صورة الشيء بشتى جوانبه[3]، بل

---

(١) من مقال من فكاهات العهد التركي العدد ٣١٤ بتاريخ ١٩٣٩/٧/١٠م.

(٢) من مقال في القرية ـ من أحاديث العيد، العدد ٣٤١ بتاريخ ١٩٣٨/٢/١٤م.

(٣) الصورة والبناء الشعري، د / محمد حسن عبدالله ، ص ١٥٥ ط : دار المعارف ـ القاهرة ١٩٨٠ م .

إن هناك من يرى أن الاستعارة أبلغ في الدلالة على المقصود من التشبيه حتى ولو كان تشبيهًا بليغًا ؛ فالتشبيه البليغ وإن بُني على ادعاء أن المشبه والمشبه به سواء فإنه – أي التشبيه – لا يزال فيه ملحوظًا منْوِيًّا ، بخلاف الاستعارة ، فهي مبنية على تناسي التشبيه(١).

والمتأمل في المقالات الساخرة للزيات يجد أن الصورة الاستعارية فيها تتنوع بين صورٍ جزئية ولوحات كبرى ، وأغلبها ينم عن ذوق سليم وحس متميز ومعرفة بمواقع الكلام.

فمن ذلك قوله عن اختلاط القروي بأصناف الحيوانات في جزئيات حياتها كلها: " .... الثور،....والبقرة، ..... والعجل، يعيشون في شيوعية "(٢)، حيث حول الزيات بهذه الاستعارة المكنية الساخرة أجناس الحيوانات إلى أشخاص عقلاء يفهمون معنى الشيوعية ويطبقونها، والصورة التي يقصد الزيات رسمها بهذه الاستعارة تتمثل في التعاون التام بين الأطراف ، والرضا التام بالحال ، وكأنهم يتحملون ذلك الاختلاط البائس من أجل الهدف الأسمى الذي هو النفع العام، تمامًا كما تفعل الشيوعية.

ومن ذلك قول الزيات متحدثًا عن مصابيح الكهرباء في القطار الذي سافر به إلى الأقصر: " أَرْعَى نجوم الكهرباء"(٣)، حيث شبه مصابيح الكهرباء بالنجوم، وحذف المشبه، والنجوم بعيدة رفيعة خافتة الضوء، وذلك يعني أن ضوء مصابيح القطار خافت باهت لا يقشع الظلام ولا يعين البصر، فالصورة تثير في النفس ما آل إليه حال منشآت الفقراء في تلك الحقبة من رثاثة ألقت بظلالها حتى على مصابيح

---

(١) ينظر: الخلاصة في علوم البلاغة . علي بن نايف الشحود ، ص ٥٢ ، ط : دار البيان . جدة ٢٠٠٣ م.

(٢) جمعية نهضة القرى العدد ٩٤ بتاريخ ١٩٣٥/٤/٢٢م.

(٣) من مقال إلى الأقصر العدد ٣٠ بتاريخ ١٩٣٤/١/٢٩م.

الكهرباء، فصارت كالنجوم بُعدًا وخفوتًا، فجاءت الصورة بديعة معبرة بمعونة الاستعارة التصريحية.

ويصور الزيات رجل الشرطة الظالم وهو يبطش بالقائم والجالس والماشي والنائم من أهل القرية ، فيضرب هذا ويجلد ذاك ويرفس تلك ، فإن وجد الطريق خاليًا من الفرائس عاد يزمجر وهو "خائب السوط"(١)، حيث جعل الزيات تلك القطعة من الجلد إنسانًا يعاني نَهْمَةَ الظلم، وجشع الأذى، وإلحاحًا في شهوة الإذلال، لا ترتاح له نفسٌ حتى يبتلَّ جلدُه من عرق الفرائس، فلما لم يجد من الفلاحين من يُضرَب أو يُجلَد عاد وتلك المشاعر تنهش قلبه، وتنخر عظمه، وتصفرُ جلدَه، فكأنه هو الإنسان المتحكم في حامله، وكأن حامله جمادٌ لا يملك من أمره شيئًا، وتلك الصورة لم تكن لتبرُزَ بهذا الوضوح دون تلك الاستعارة المكنية.

ويصور الزيات أحد أهل البطالة من علية القوم فيقول:" كرة أرضية من الخشب قُطْرُها متران "(٢)، فالاستعارة التصريحية هنا تصور شخصًا أكل السِّمَنُ ملامحه، واستولى الشحم على معالمه، ولنا أن نتصور شخصًا على هيئة كرة، ملامحه مرسومةٌ رسمًا يفتقد إلى البروز على سطح تلك الكرة ، ثم هي كرةٌ بلَغَ قطرُها مترين حتى صار الطول في العرض، وصار الشرق مثل الغرب والشمال مثل الجنوب، ولولا وجود الطربوش لما تبين للناظر رأسُه من قدميه، وتلك الصورة تمثل انعكاسًا معتادًا لما يحاول الزيات رسمه دائمًا لطبقة الإقطاعيين الذين يقتاتون على دماء الفقراء من المزارعين.

---

(١) من مقال من صور الماضي العدد ١٥١ بتاريخ ١٩٣٦/٥/٢٥م.

(٢) من مقال أسرة طيبة العدد ٨٠١ بتاريخ ١٩٤٨/١١/٨م.

وينقل الزيات كلاب قريته من البهيمية إلى الآدمية باستعارة مكنية ساخرة بديعة فيقول:" كل كلب منها يقول: ضعوا على رأسي القبعة!!"[١]، فالزيات يسخر ممن يقلدون الغرب في أمورهم كلها حتى نقلوا تلك العدوى إلى الكلاب، فرسم لنا بتلك الاستعارة صورة الكلاب وقد أخذها حماس التقليد، وثارت بها حمية التشبُّه ، فإذا بها تنطق مطالِبَةً أن ترتدي قبعة ليَصِحَّ في الأذهان تَشَبُّهُها بكلاب الغرب كما فعل الآدميون.

(ج)الكناية:

من المقرر أن التصوير الكنائي له أثر كبير في تجسيم المعنى في صورة محسوسة، مما يمكّنه في نفس المتلقي ويقربه من فهمه وإدراكه، وقد استخدم الزيات الكناية في مقالاته الساخرة في رسم صوره استخدامًا بديعًا، حيث كساها حلة عصره المتطور الحديث؛ لذا جاءت أغلب صوره الكنائية بديعة التصوير رائقة التعبير.

فمن ذلك قول الزيات واصفًا قطار رحلته إلى الأقصر:" القفص الطائر "[٢]، فالجملة كناية عن صفة السرعة الفائقة لهذا القطار، وقد رسمت تلك الكناية صورة المعاناة التي يلقاها الزيات في رحلته، فقد ذكر الزيات في تلك المقالة أن القطار مهترئٌ ملئٌ بالثقوب، وإذا كان كذلك فإن محمدة السرعة تنقلب إلى مذمة ما بعدها مذمة، إذ تعني اصطلاح الثقوب مع السرعة على الزيات فابتلياه بالبرد والغبار، فجاءت الصورة مشبعة بالمعاناة، وذلك كله بمعونة الكناية.

---

(١) من مقال مثل المهذبين من بني آدم العدد ٨٠٤ بتاريخ ١٩٤٨/١١/٢٩م.

(٢) من مقال إلى الأقصر العدد ٣٠ بتاريخ ١٩٣٤/١/٢٩م.

ويتحدث الزيات عن الطالب الأجنبي الذي ضُبط متلبسًا بالغش فتدخلت الامتيازات الأجنبية وأعادت الطالب إلى الامتحان وهو " أطول رقبة!!"[١]، فتلك الجملة الساخرة كناية عن الزهو والفخر والشعور بالنصر، وقد حولت الكناية المحالَ ممكنًا ، فلا يمكن للرقبة أن تطول حقيقة، ولكن الكناية خلقت تلك الصورة في أذهاننا حتى ظننا أنها يمكن أن تطول ، فتخيلنا الطالب وقد امتد عنقه حتى علا على كل مدرسيه فلم يملكوا إلا الإذعان والخضوع للامتيازات وللرقبة.

ويحدثنا الزيات عن ذلك الدَّعِي الذي يموّه على الناس بالولاية ، فيقول عن مشهد ادعاء الولاية والخشوع والوجد : " ثم غَمَزْتُه بعد حين فتهور وتطور وأرغى"[٢]، وتلك الجملة كناية عن وجود اتفاق مسبق بينهما على ذلك المشهد التمثيلي، فالكناية ترسم صورة اتفاقهما على لحظة بعينها تمثل الوقت المناسب لبدء مشهد التمويه والادعاء، فلما حانت اللحظة أعطى الزيات الإشارة (فغمزتُه) فبدأ المشهد، فكانت الكناية العامل الأول في إظهار ما أراد الزيات إظهاره من النفاق والادعاء والتمويه الذي يركن إليه بعضٌ من هؤلاء لخداع العوام.

ولما أراد الزيات أن يلح كعادته على وصف المتدينين القرويين بالسذاجة والنزق نراه يصف خادم المسجد بأنه: "يده أسرع من لسانه"[٣]، وقد رسمت تلك الكناية صورة رجل أخرق أحمق يردّ على الناس بيده لا بلسانه، ويخاطبهم باللكمات لا بالكلمات، فلم تُقَصِّر الكناية في إبراز مراد الزيات ورسم صورته.

---

(١) من مقال الامتيازات والدين العدد ٤٩بتاريخ ٦/١١ / ١٩٣٤م.

(٢) من مقال من فكاهات العهد التركي العدد ٣١٤ بتاريخ ١٩٣٩/٧/١٠م.

(٣) من مقال فكاهة لها مغزى العدد ٨٠٠ بتاريخ ١٩٤٨/١١/١م.

ويبدع الزيات في الحديث عن كلاب قريته وقد تأثرت بفكرة تقليد الغرب، والزيات يلمح من وراء هذا إلى مخاطبة شباب أمته لا إلى الحديث عن الكلاب، وإنما عمد إلى ذلك ليظهر أن هؤلاء ممتهَنون في نظر الأمة كالكلاب، فيقول مُلْمِحًا إلى شباب الأمة ومتحدثًا عن الكلاب وهي تقلد الغربيين :"ثم أسْرَفَت في الرقة" ، فتلك كناية بديعة تعني فَقْدَ الرجولة ، وتلك نتيجة طبعية لتقليد الغرب بعاداته المنفتحة وتقاليده غير الأخلاقية ، فتحول رجال الأمة – بإسرافهم في الرقة – إلى نساء ، وتحولت الكلاب – بإسرافها في الرقة – إلى الصمم ، فلم تعد تنبح أو تحرس أو تخيف ، ثم يقول في السياق نفسه :"وأغرقت في التظرّف "[1] ، فتلك كناية عن السماجة وثقل الأخلاق المتمثل في كلام وأفعال وإشارات مستوردة غريبة ، فمَجَّتْها النفوس ، وعافتها الطباع ، واسْتَسْمَجَتْها العيون ، فتشكلت من ذلك كله صورةٌ ممقوتة ، وهو في هذين الأمرين يصرح بالكلاب ويلمح إلى شباب الأمة.

ويستمر الزيات في رسم صورة ساخرة من الغباء والجهل والنزق لطائفة من علية القوم ، فيذكر لنا ذلك (الباشا) الذي سأله الرسام هل يريده أن يرسم صورته بالزيت ، فقال له الباشا :" بل أريدها بالسمن"[2] ، فالجملة صورة لغباء متحرك ، وجهل مطبق ، وذهن متبلد لا يعرف غير الطعام والشراب ، ولا يفكر في غير النهم والبطنة ؛ فكل الألفاظ تؤدي إلى ذلك السبيل ، والإشارات جميعها ترشد إلى ذلك المأرب ، وهو مشهد ساخر مكنته الكناية من النفس.

---

(١) من مقال مثل المهذبين من بني آدم العدد ٨٠٤ بتاريخ ١٩٤٨/١١/٢٩م.

(٢) من مقال من مخلفات الحرب هذا الطبلاوي العدد ٦٧٦ بتاريخ ١٩٤٦/٦/١٧م.

المبحث الثاني: المضمون.

ـــ الأفكار.

إن الأفكار والمعاني عند أي منشئٍ يمكن إرجاعها إلى مصدرين رئيسين ، أولهما مصدر حسي مباشر ، وذلك يشمل المواقف والعلاقات التي عاشها الأديب نفسه أو شهد أحداثها ، وثانيهما مصدر رمزي غير مباشر، ويراد به الأحداث والمواقف التي تلقاها مسموعة أو مقروءة أو مرئية، وإذا نظرنا في الأفكار والمعاني المتعلقة بالأدب الساخر للزيات فإننا نلحظ أنها لا تخرج عن هذين المصدرين ؛ فمصادره الحسية المباشرة هي حياة البسطاء من أهل القرية ، والتي تتمثل في جزئيات تلك الحياة من زرع وحيوانات وطيور وأبنية وطرق وطريقة حديث وأمراض ومشكلات ، ثم حياة علية القوم بما فيها من قصور وبذخ وعادات وتغريب ونفاق وتسلط وظلم، ثم مظاهر الحياة العامة من نفاق المتدينين وأمية العوام وندرة المثقفين وكساد سوق العلم ، أما مصدره الرمزي فمنه طغيان امتيازات الأجانب على أصحاب الوطن ، واجتماعات البرلمان، وجلسات الحكومة، ونحو ذلك.

ويدور حديثنا عن المعاني والأفكار عند الزيات في محورين، أولهما: أبرز سمات المعاني الساخرة عند الزيات، وثانيهما: أهم المعاني الرئيسة التي تناولها في أدبه الساخر.

(أ) أبرز سمات المعاني الساخرة عند الزيات:

ـــ بروز نزعة إعلاء المصلحة العامة:

إن غالب الأفكار التي تناولها الزيات في أدبه الساخر تشير إلى القضايا الكبرى التي تمس المجتمع، سواء أكان مجتمع المدينة أم القرية، فمِن بؤس الفلاح كما في حديثه عن طريقة عيش الفلاحين بين الحيوانات والطيور، إلى فضح الظلم ومحاولة

رفعه كما في حديثه عن مأمور الشرطة الذي يلهب ظهور الناس بسوطه، إلى بذل الجهد في الرفع من حال القرية وأهلها وإنقاذهم من الأمراض كما في حديثه عن مرض الملاريا، إلى محاولة لفت نظر علية القوم إلى ما يعانيه البسطاء من بؤس وقحط كما في وصف القطار البائس الذي أقله إلى الأقصر .

ـــ الميل إلى الأفكار النقدية الاصلاحية :

لم يكن الزيات يسخر من أجل السخرية، وإنما كان يسخر لينقد ويوجه النظر، فكانت المعاني الساخرة عند الزيات ذات غرض شريف، فمن نقده لسيطرة الامتيازات على الأزهر كما في حديثه عن الطالب المقبوض عليه متلبسًا بالغش، إلى نقد الحكومة في تركها لمهامها للجمعيات الخيرية كما في مقال (جمعية نهضة القرى)، إلى نقد بعض المتدينين في إفراغهم المناسبات الدينية من مضمونها وتحويلها إلى أمور سطحية كما في حديثه عن تحويل العيد إلى مناسبة لخبز الكعك، وفي اتخاذهم الدينَ جُنَّةً للاحتيال كما في حديثه عن الصوفي المتهرب من دفع أجرة ركوب (الترام) ، وفي فهمهم الخاطئ لكلمة (ولي) حين حولوها إلى منهج للتجنن والرقص، إلى نقد الشباب في سعيهم لتقليد الغرب حتى في الأمور التي تخالف ديننا وأخلاقنا، إلى نقد البرلمانيين الكَذَبَة الذين وعدوا الناس بالسمن والعسل ثم أخلفوا وعودهم.

ـــ الصدق :

أدب الزيات أدب واقعي، والواقعية تقود إلى الصدق، فالزيات يصف الشيء بصفته، ويطوع الكلام ليطابق المقام، وذلك ليس بغريب على الزيات التي تصدر عاطفته عن معايشة واقعية ومعاناة حقيقية، بل حتى سخرية الزيات سخرية صادقة؛ فهي سخرية نابعة إما من حسرة على حالٍ تَبَدَّل، أو من رغبةٍ عارمة في الإصلاح.

فنراه يسخر من حال الأزهر الذي يحتاج إلى الإصلاح، فيعبر عن مشاعر الحسرة الصادقة التي تجول في خاطره على تلك المؤسسة التي قضى فيها ردحًا من عمره،

ويسخر من أهل القرية الذين حوَّلوا بأُمِّيَّتِهم العيدَ البهيجَ الروحاني إلى مناسبة لصنع الكعك وتوزيعه على المقابر، فيستذكر أيام طفولته التي عاش فيها العيد بما فيه من قدسية ورهبة وجو إيماني فياض ذهب إلى غير عودة ، ويسخر من رضا أهل القرية أن يعيشوا مع البهائم ، يأكلون كما تأكل ، وينامون كما تنام ، فينظر إليهم في مرارةٍ لعلمه أن مِن هؤلاء من هو أحق من (الباشاوات) بالمال ، وأكبر منهم في العقل، وأقرب منهم تدينًا ، ولكن ظروف الحياة اجتمعت مع الظلم والقهر عليهم فحولتهم إلى تلك الصورة الساذَجة الراضية بالدون، ويساوي في سخرية بين الناس والملاريا ليحركَ ما تبقى من إنسانية في قلوب الطبقة العلية لينظروا لهؤلاء نظر رأفة، ويسخر من نفسه لما ظن أن الباشا(سيرفده) فإذا به (يرفضه) ، وكأنه يتمنى من صميم قلبه لو أوتي هؤلاء حظًّا من الثقافة ، ولو كان ذلك لغيروا حال العلم والأدب بمالهم، ولنشروا التعليم في ربوع مصر بجاههم ، وتلك أمنية طالما حلم بها الزيات، ويسخر من الانعزال الثقافي الذي يعيشه أهل القرى، والسذاجة المفرطة التي ألبستهم الأمية إياها حتى لم يعرفوا الحشيش الذي هو المخدر فظنوه الحشيش الذي هو البرسيم، فيتمنى أن لو أتيح لهؤلاء المذياعُ أو الجريدةُ ليتصلوا بالعالم والثقافة.

ـ الوضوح :

لقد أوتي الزيات قلمًا بليغًا ، فملك زمام اللغة يطوعها كيف شاء، ومع ذلك لم يتجه أبدًا إلى الرمز المفرط أو الغموض الشديد ، فآثر الوضوح والسهولة حتى في سخريته، فكان أدبه الساخر سهل الفهم عسير التقليد؛ فالزيات يعلم أنه يخاطب الجماهير عامة، فهو ليس في مجلس أدبي مقصور على فئة من المثقفين، فكان لزامًا عليه أن يكتب ما يُفهم، وأن يبتعد عن التقعر.

(ب)المعاني الرئيسة التي تناولها في أدبه الساخر:

ـ تركيزه على مشاكل القرية ومحاولة النهوض بها :

مثّلت القرية جزءًا من التركيبة النفسية للزيات، فانطبع حالُ أهلها في خاطره، وعاش بؤسَهم فِكْرًا وإن لم يعشه واقعًا، فكَرَّس قلمه الساخر لتلك المعاني المتصلة بهذه القضية السامية، فلم ينْسَها في كتابته عن العيد أو الأزهر أو المسجد أو الطبقة الحاكمة أو عادات المجتمع، بل ربط ذلك كله بها وربطها به، وغاص في ذلك الأمر حتى نفذ إلى أغوارِ شخصية الفلاح وأعماق نفسيته ، فتراه يتحدث عن الإقطاع والسُّخْرَة وكأنه فلاح ، ويصف ساخرًا نفسية المواشي وكأنه عالِمُ حيوانٍ يفهم ما تبثه الحيوانات إياه من هموم قلة العلف وجهد العمل ، بل حتى في مقالاته السياسية نراه يتسلل خفية ليدلف إلى الحديث عن قيمة الفلاح ومعوقات نهوضه ، ويستغل حديثه عن (الباشاوات) ليلمح إلى أن نعيمَهم يغذوه الفلاح ، ومالهم ينميه الفلاح، ولو زال لزالوا .

ـ معالجة علل المجتمع المصري والعربي:

وظف الزيات أفكاره الساخرة في علاج الأمراض الاجتماعية التي حلت بالمجتمع، فتراه يلح على صرف نظر شباب الأمة عن فكرة تقليد الغرب متخذًا من الكلاب مضربَ مثلٍ يساعده على التنفير من ذلك الطريق، ثم يعيد الكلام مراتٍ حول تقديس الناس للعادات الجاهلية التي ينفقون فيها أموالهم، ويستنفذون فيها طاقتهم دون طائل، ونراه في مشهد آخر ينقد ضيق صدور الناس وعدم تحملهم فلتات غيرهم، فيذكر حدوث معركة حامية الوطيس بسبب اصطدام حمارٍ بحمار ، ويسخر من اهتمام (الباشاوات) بالطعام والشراب أكثر من اهتمامهم بالثقافة، حتى أنهم لا يفهمون من الألفاظ إلا ما يَصِف أكلةً، ولا يفقهون من المعاني إلا ما يدعو إلى وليمة، حتى أصبحت تلك سمةً اجتماعية لغالب هؤلاء، ثم يلوم بعض الفلاحين على عدم قدرته

على التوفيق بين قدرته المالية وبين رغبته المسرفة في تحويل العيد إلى بعض الكعك تمشيًا مع بقية أهل القرية.

ـ تركيزه الشديد على مسألة الطبقية :

فتلك في نظر الزيات هي أم العلل، ومكمن الداء ، فترى الزيات لا يفوت فرصة إلا ويسَخِّر قلمه لنقد هذا الأمر في سخرية كاشفة، وفكاهة هادفة، فمرة ينبههم إلى ما غفلوا أو تغافلوا عنه من عيوبهم ، ومرة ينبه المجتمع إلى مفاسد هؤلاء وموبقاتهم، فالقطار المهترئ سببُه فسادُهم ، وشقاء البسطاء سببه استبدادُهم ، وأمراض الفلاحين سببها أكلهم للحقوق ، وغنيهم قارون ، وبرلمانهم مصنع نفاق ، وحكومتهم مظهرٌ لا نفع فيه، وشُرطِيُّهم جبار ظالم، وفتاتهم جمالها حليٌّ في يديها ورجليها لا في ملامح وجهها، وتمدنهم انفلات وتغريب ، ومثقفهم صَلِفٌ متكبر ، وتديُّنُهم قشور لا روح فيها، فلم يترك الزيات سلاحًا إلا ووجهه إلى نحور تلك الطبقة في سخرية بديعة.

ـــــــ التجربة الشعورية:

إن تأثير العوامل النفسية على المنشئ أمرٌ لا يمكن إنكاره؛ فالأدب الصادق هو ما كان معربًا عن نفسية صاحبه ومشاعره وتوجهاته النفسية، فالتجربة الصادقة لها وزن وأي وزن، والمراد بصدق التجربة أن تكون مطابقةً لوجدان المنشئِ ومعبرةً عن مشاعره وانطباعاته، والمتأمل في المقالات الساخرة للزيات يجد تنوعًا في تجاربه بين الذاتية والغَيْرية، فتارةً يجعلنا نعيش تجربتَه ونعاني ما نعانيه، وتارةً أخرى يجعلنا ونفسَه نصاحبُ صاحب التجربة ونسير معه في طريقه.

فيقول الزيات متململًا مما يعانيه داخل قطار الفقراء في رحلته إلى الأقصر:" متى يا إلـهَ النـاس يُصْبِح هذا الليل؟!"(١)، فـأي عبـارة هذه التـي جعلتنـا نعيش حالـة الاستبطاء والمعانـاة وضيق الصدر الذي يعيشـه الزيـات ؟! ، إن الزيـات نقـل إلينـا تجربتـه الشعورية بهذا الاستفهام الملـيء بالضجر والأرق وانتظار الصباح، حيث صنعت الألفاظ كسوةً بديعة للمعاني، وتعاونَا معًا فجعلا المتلقين يعيشون التجربة وكأنهم جزءٌ منها.

ويبدع الزيات أيما إبداع حين يمزج في تلك التجربة الغيرية بين السخرية والبؤس وهو يصور حياة أهل الريف فيقول: " جمعوا بين قاعة الإنسان وزريبة الحيوان في فناءٍ واحد"(٢)، إن هؤلاء المساكين يعيشون حالة من القحط جعلتهم يذهبون إلى المعاناة باختيارهم ، ويلجئون إلى الحلول القاسية البائسة بأنفسهم، فلا أحد يجبرهم، ولا أحد يقول لهم اذهبوا في هذا الطريق ، فهم الذين (جمعوا)، وتلك هي التجربة الأقسى والأمرّ على النفس، وذلك حين يختار الإنسان الرضا بالذل والدون من العيش استجابةً للواقع ، فهذه العبارة جعلت المتلقي يعيش مع هؤلاء المساكين بين البقر والبط والحمام ، يعيش ما يعيشونه من فقر، ويعاني ما يعانونه من العجز عن تغيير الحال.

وينقل الزيات إلينا الغصة التي يشعر بها بسبب النظرة الفوقية التي ينظر بها (الباشاوات) إلى عامة الناس، تلك النظرة المليئة بالاستهزاء والحقارة وعدم القيمة، فيسأل على لسان (الباشا) : "لماذا يُقتَل البعوض ويبقَون هم في الأحياء؟"(٣)، سؤالٌ ظاهره السخرية وباطنُه تجربةٌ مريرةٌ تكرس الطبقية المقيتة التي عانت منها الأمة في

---

(١) من مقال إلى الأقصر العدد ٣٠ بتاريخ ١٩٣٤/١/٢٩م.

(٢) من مقال جمعية نهضة القرى العدد٩٤ بتاريخ ١٩٣٥/٤/٢٢م.

(٣) من مقال أكل هذا يصنع البرلمان العدد ١٥١ بتاريخ ١٩٣٦/٥/٢٥م.

تلك الحقبة ، تلك الطبقية التي ساوت بين الناس وبين بعوض الملاريا، فأوجدت في نفس الزيات تجربة مريرة نقلها إلينا أبين نقل من خلال هذا السؤال البائس.

ويستمر الزيات بنا في رحلة تجربة النظرة الطبقية المقيتة الذي تنهش المجتمع وهو يصور تَقَدُّمَ أحد الشباب لخطبة فتاة من علية القوم، فيقول:" أَعْجَبُ العجب أن يشترط أهلُها عقد الزواج من غير رؤية"[1]، إن هذه العبارة الساخرة تمثل تجربة الشعور بالحقارة أبينَ تمثيل، وكأنكَ بأهل هذه الفتاة (الباشاوات) يقولون لذلك الخاطب المسكين: من أنت لِتَرَى ؟؟ احمَدِ اللهَ أننا سنزوجك ابنتنا، لم يبق إلا أمثالك يَرَوا بناتنا، تلك الأنَفَة البغيضة التي تسلب من الخاطب حقَّه في رؤية المخطوبة حالًا، وكرامتَه بعدَ حين، وقوامَتَه مستقبَلًا، ثم حياتَه بضغط القهر بعد مُدة.

ومن التجارب اللطيفة التي عاشها الزيات بنفسه أنه أهدى نسخة من الرسالة لأحد المعارف فردها وكتب عليها (مرفود)، فعاش الزيات وعشنا معه لحظات من السعادة التي أخذتنا إلى رحلة من هجوع النشوة لانخداعنا بعربية اللفظ ودلالة معناه، لولا أن :"نبهني صديقٌ أوتي منطق الناس أن (مرفود) معناها (مرفوض)"،[2] فانتقلنا مع الزيات إلى تجربة أخرى منافية للسالفة، وهي تجربة الصدمة والخيبة، لا مِن مَنْعِ الرفد وإنما من عدم معرفة هذا الصَّلِف الجاهل بقيمة ما أهدي إليه، ولا يكاد المتلقي يصل إلى نهاية العبارة حتى ترتسم أمامه مشاعرُ الزيات في الحالتين أوضح ارتسام.

ونعيش مع الزيات وصديقه تجربة الحسرة على ما آل إليه حال الأمة ومسئوليها، حيث يصور الزيات على لسان صديقه حال الوالي الجديد الذي كان منذ لحظات يتقلب على الأرض كالديك في محاولة لخداع البسطاء بادعاء الولاية وسكرة الوجد

---

(١) من مقال حول مشكلة الزواج العدد ٤١٤ بتاريخ ١٩٤١/٦/٩م.

(٢) من مقال لو كنا نقرأ العدد ١٨٨ بتاريخ ١٩٣٧/٣/٨م.

فيقول:" وذلك يا مولانا هو الوالي الذي اختير لتعليم الجاهل وتصحيح المريض!"[١]، إن اليأس والحسرة يطلان من كل ركن في هذه العبارة ، حسرة ممزوجة بفقد الأمل في إصلاح الحال ما دام أمثالُ هؤلاء موجودين، وذلك بالفعل كان حال الأمة في ذلك الوقت، مما أضفى على التجربة مصداقية أكبر.

(١) من مقال من فكاهات العهد التركي العدد ٣١٤ بتاريخ ١٠/٧/١٩٣٩م.

الخاتمة ونتائج البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله ،،،،، وبعد

فإن الاتجاه الساخر في مقالات الزيات بابٌ من الأدب رفيع، وتوجهٌ له أهداف سامية، خلط فيه الزيات في براعة بين الجد والهزل، ورسم لذلك الخليط خطًّا نقديًّا سار عليه، فكانت سخريته نقدًا هادفًا، وموعظة بليغة ، وسبيلًا واضحًا يُبَصِّر بالعيوب، وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى جملة من النتائج هي :

ـ السخرية فن نثري بديع له الأثر البالغ في معالجة موضوعات شتى.

ـ على الرغم من أن مفهوم السخرية يشمل التهكم والهُزْء والإضحاك، إلا أننا لا يمكن أن نهمل دوره الجمالي والبلاغي في أي نص يدخله، فضلًا عن بعثه للتشويق والرغبة في إكمال التَّلَقِّي وتتبع التفاصيل.

ـ الزيات ليس أديبًا ساخرًا بطبعه؛ فقد عُرف بشخصيته الجادّة القوية.

ـ لم أقف للزيات على مقال واحد كامل في السخرية، وانما هي ومضات هنا وهناك.

ـ اختلف منهج الزيات في السخرية عن غيره؛ فقلَّ أن تجد عند الزيات سخرية من النوع السلبي الذي يقصد إلى الهدم والتلذذ بأخطاء وآلام الآخرين ، وإنما جُل سخريته من النوع الإيجابي الهادف إلى النقد والبناء وكشف العيوب واقتراح الحلول.

ـ تنوعت السخرية عند الزيات بين السخرية الإرشادية التي تمتاز بالنصح والتوجيه، ثم السخرية التعليمية التي تمتاز بالتنبيه إلى الخطأ والتنويه بالصواب ، ثم السخرية التحريضية التي تمتاز بالحث على محاربة الفساد وإبطال الظلم.

ـ يلاحظ على سخرية الزيات أنها مشوبة دائمًا بمسحة حزن وحسرة؛ وذلك لتأثره الشديد بقضايا مجتمعه، فكان يكتب عن القضية وكأنه يعيشها بنفسه.

ـ المتمعن في عباراته الساخرة يلمح طغيان الاتجاه الوطني على الزيات، فجل سخريته منصب على قضايا الأمة والرغبة في ارتفاع شأن لوطن.

ـ كشفت التعبيرات الساخرة في مقالات الزيات عن أبعادٍ نفسيةٍ وجماليةٍ بديعةٍ وواضحة، أبعادٍ تجمع بين البؤس والدعابة، وبين المرح والحزن، وبين التودد والهجاء، وذلك في إطارٍ نقديٍّ ساخرٍ لواقعٍ اجتماعيٍّ وسياسي ترك ظلاله على نفسية الزيات.

ـ قدم اللفظُ المفرد في الأدب الساخر للزيات خدمةً جليلة في نماء الصورة ودقتها، والمشاركة بشكل كبير في انفساح الدلالة أو تضييقها تبعًا لطريقة ومكان استدعاء ذلك اللفظ.

ـ تَوَكَّأَ الزيات في كثير من عباراته الساخرة على أسلوب السرد القصصي، ولهذا الأسلوب قيمة فنية عالية زادت في جمال تعبيراته.

ـ تعد سخرية الزيات قراءة واقعية للحياة التي عاشها المجتمع المصري في تلك الحقبة، بأفراحه المرتبطة بعلية القوم، وأتراحه المرتبطة بالفقراء.

ـ اعتمد الزيات أسلوب التلميح كثيرًا في مقالاته السياسية، فتراه يلوم الحكومة في المواضع كلها دون الحديث عن الملك، وذلك أمر مفهوم، فانتقاد الملك في تلك الحقبة لم يكن الزيات ولا غيره يستطيعه.

ـ عني الزيات بوصف الأمكنة وتحديد الأزمنة التي تجري فيها الأحداث، وذلك عنصر بالغ التأثير في المتلقي بما يلقيه عليه من أوصاف ذات أثرٍ نفسيٍّ نابع من الظروف المكانية والزمانية.

ـ لم تَغِب القرية بتفصيلاتها عن الزيات ولا عن مقالاته الجادة والساخرة، فلا نكاد نجد للزيات مقالًا لم يذكر فيه شيئًا مرتبطًا بالقرية إلا قليلًا، وذلك يعكس بجلاء أثر البيئة في أدب الزيات.

فهرس المصادر والمراجع

١ـ أحمد حسن الزيات صور موجزة من حياته وأدبه، د. محمد جاد البنا ، طبعة شركة الدقهلية الوطنية للطباعة والنشر، المنصورة، مصر ،الطبعة الأولى ١٤١٣/١٩٩٢هـ .

٢ـ أدب الزيات في العراق، جمال الدين الألوسي، مكتبة المثنى، بغداد، الطبعة الأولى ١٩٧١م/١٣٩١هـ.

٣ـ أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر، الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط : دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

٤ـ أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق: عبدالسلام هارون، طـ: دار السيرة ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثالثة ١٩٨٣م .

٥ـ أضواء جديدة على حياة الزيات من رسائله الخاصة، مقالة للدكتور: محمد جاد البنا، مجلة مصر، العدد الأول، أكتوبر ١٩٧٤م.

٦ـ البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، ط : دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.

٧ـ تاج العروس، محمد بن محمد الحسيني، مرتضى الزبيدي ،ط: دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٨ـ تاريخ النقد الأدبي عند العرب د / إحسان عباس، طـ: دار الثقافة ـ بيروت ـ الطبعة الرابعة.

٩ـ التقفية في اللغة، أبو بشر، اليمان بن أبي اليمان البَندنيجي، تحقيق: د. خليل إبراهيم العطية، ط : وزارة الأوقاف، الجمهورية العراقية – مطبعة العاني – بغداد ١٩٧٦ م.

١٠-ـ التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، راجعه عبد الحميد حسن، ط: دار الكتب، القاهرة ١٩٧٤م

١١-ـ تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط : دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

١٢-ـ الجراثيم، ينسب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: محمد جاسم الحميدي، ط : وزارة الثقافة ، دمشق .

١٣-ـ الخلاصة في علوم البلاغة ـ علي بن نايف الشحود، ط : دار البيان ـ جدة ٢٠٠٣ م.

١٤-ـ دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، د. محمد عبدالمنعم خفاجي، ط: دار الجيل، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

١٥-ـ دفاع عن البلاغة، أحمد حسن الزيات، ط : دار ابن حزم ، بيروت، لبنان.

١٦-ـ ديوان امرئ القيس، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، ط : دار المعرفة – بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

١٧-ـ الزيات والرسالة ، محمد سيد محمد، دار الرفاعي للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م .

١٨-ـ السخرية والفكاهة في النثر العباسي، نزار عبد الله خليل، ط: دار حامد، الأردن، الطبعة الأولى ٢٠١٢م.

١٩-ـ سنن ابن ماجة، محمد يزيد القزويني، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط : دار الرسالة العلمية، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م .

٢٠-ـ الشعر المعاصر في ضوء النقد الحديث ، أ / مصطفى السحرتي ، ط : مطبعة المقتطف والمقطم ـ القاهرة ١٩٤٨ م .

٢١ـ الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط: المكتبة العصرية – بيروت ١٤١٩ هـ .

٢٢ـ الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي، د / علي الغريب ، ط : مكتبة الآداب . القاهرة.

٢٣ـ الصورة والبناء الشعري، د / محمد حسن عبد الله، ط : دار المعارف ـ القاهرة ١٩٨٠ م.

٢٤ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، ط : دار الجيل ، الطبعة الخامسة ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م.

٢٥ـ العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، ط: دار ومكتبة الهلال.

٢٦ـ في ضوء الرسالة، أحمد حسن الزيات، دار الثقافة ، القاهرة، ط/١ ، ١٩٦٣م.

٢٧ـ القرية في أدب أحمد حسن الزيات، دراسة موضوعية وفنية، علي محمد يحيى، رسالة ماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة العربية السعودية ، ١٤٣٠هـ.

٢٨ـ قمم أدبية، د. نعمات أحمد فؤاد، ط: عالم الكتب، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٨٤م.

٢٩ـ لسان العرب، محمد بن مكرم ، جمال الدين بن منظور، ط : دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ .

٣٠ـ مجلة الرسالة، من ملفات المكتبة الشاملة مع مطابقة المقالات على كتاب وحي الرسالة.

٣١-ـ معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، الدكتور فانيامبادي عبد الرحي، ط: دار القلم – دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م.

٣٢-ـ معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، تحقيق الدكتور أحمد مختار عمر، مراجعة الدكتور إبراهيم أنيس، ط : مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٣٣-ـ معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، ط: عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٣٤-ـ معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وكامل المهندس، الطبعة الثانية ١٩٨٤م.

٣٥-ـ المعجم المفصل في اللغة والأدب، إميل بديع يعقوب وميشال عاصي، ط: دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان.

٣٦-ـ معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون ، ط : دار الفكر ، بيروت ١٩٧٩م.

٣٧-ـ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط : دار الدعوة ، القاهرة.

٣٨-ـ مقدمة ابن خلدون ، ط : المكتبة التجارية ـ مصر.

٣٩-ـ نقد الشعر ـ قدامة بن جعفر ـ تحقيق د . محمد عبدالمنعم خفاجي، ط : دار عطوة ـ القاهرة ١٩٧٩م.

٤٠-ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين المبارك بن محمد، الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، ط: المكتبة العلمية – بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤١-ـ وحي الرسالة ، أحمد حسن الزيات ، ط : دار روائع الكتب ، تركيا ٢٠٢٢م.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث باللغة العربية ٣٠٤٦
ملخص البحث باللغة الإنجليزية ٣٠٤٨
المقدمة ٣٠٤٩
التمهيد : ٣٠٥٢
السخرية في اللغة والاصطلاح ٣٠٥٢
العلاقة بين الفكاهة والسخرية ٣٠٥٣
نبذة مختصرة عن الزيات ٣٠٥٤
حول السخرية في مقالات الزيات في مجلة الرسالة.....٣٠٥٨
الفصل الأول : الدراسة الموضوعية ٣٠٦٠
المبحث الأول : السخرية في مقالات الزيات السياسية ٣٠٦٠
المبحث الثاني : السخرية في مقالات الزيات الدينية ٣٠٦٨
المبحث الثالث : السخرية في مقالات الزيات الاجتماعية ٣٠٧٦
الفصل الثاني : الدراسة الفنية :.....٣٠٨٥
المبحث الأول : الأسلوب ٣٠٨٥
المعجم اللفظي ٣٠٨٥
العبارات التراكيب ٣٠٩٢
الصورة ٣١٠٠

المبحث الثاني : المضمون..... ٣١٠٩
الأفكار.....٣١٠٩
التجربة الشعورية ٣١١٣
الخاتمة ونتائج البحث ٣١١٧
فهرس المصادر والمراجع ٣١١٩
فهرس الموضوعات ٣١٢٣